خطاب مفتوح إلى الرئيس الأميركى

المختار الإسلامي
أسسها حسين عاشور عام ١٩٧٣
القاهرة : ١٥ شارع شهاب - المهندسين
ص ب ١٧٠٧ - القاهرة - رمز بريدى ١١٥١١ - تليفون وفاكس ٣٤٩٠٤١١

د . عبد الودود شلبى

خطاب مفتوح

إلى الرئيس الأميركى

رؤية إسلامية
لازالة اسباب الكراهية والتعصب
وفض الاشتباك والصراع
بين الإسلام والغرب



بسم الله الرحمن الرحيم

نذير .. وتحذير .. !

يقول الله عز وجل :

(أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا ، كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ...كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم ... وما كان لهم من الله من واق .. !)

(سورة غافر : آية ٢١)

إلى الشعب الاميركى الطيب !

لا تعطوا القدس للكلاب ..

ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير ... لئلا تدوسها بأرجلها ... وتلتفت إليكم فتمزقكم .. !!!

(متى - الإصحاح الخامس)

احذروا الجهل .. !

إن الأديان السماوية وفى مقدمتها الدين الإسلامى أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو معول طيش ..أو صيحات نذالة تدوى بها أفواه الحثالة من أى قوم ..أحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا ... أو يكون له على نفوسكم ... سلطان أو سبيل !

الأمير المجاهد عبد القادر الجزائرى

قبل أن تقرأ هذا الكتاب !

● قد يتصور بعض القراء أن هذه الرسالة موجهة إلى الرئيس " بل كلينتون " وهذا تصورا له ما يبرره وبخاصة بعد نشر فضائحه على شبكة الإنترنت وأحب أن أقول للقارئ إن هذه الفضائح ليست جديدة ولا غريبة على معظم سكان البيت الأبيض فما من رئيس جلس على مقعد الرئاسة فى هذا البيت إلا وكانت له (مونيكا أخرى) !!!

● وليس هذا الكتاب (رسالة) بالمعنى المعروف فى كتابة (الرسائل) إنه أى - الكتاب - محاولة (لتصحيح) المفاهيم الخاطئة عن (الإسلام) فى أميركا وغيرها من شعوب الغرب .

● كما أنه ليس المقصود بهذا الكتاب أو هذه (الرسالة) (رئيسا أمريكيا معنيا) بل المقصود المؤسسة الأميريكية ممثلة فى (الكونجرس والبيت الأبيض) وغيرهما من المؤسسات ذات التأثير فى صنع (السياسة الأميريكية) و (القرار الأميركى) .

● وهذه (الرسالة) وإن كانت موجهة إلى الرئيس الأميركى فى الأصل إلا أنها موجهة - فى الوقت نفسه - وبذات الأهمية والقدر إلى كل ملك أو رئيس فى أوروبا وغيرها من الدول والشعوب التى يتعرض فيها الإسلام لمثل ما يتعرض له من حملات ضارية فى أميركا وأوروبا .

● وإذا كانت هذه الرسالة تستهدف تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام فى بلاد الغرب فهى - أى هذه الرسالة - تؤكد فى الوقت نفسه أن الحكم على الإسلام من خلال واقع المسلمين تعسف وظلم ! فالإسلام شىء .. وواقع المسلمين شىء آخر يتناقض مع الإسلام فى كل شىء !!!

ياسيادة الرئيس :

أرجو أن يتسع صدرك لما أكتب .. فالصراع بين الإسلام والغرب قد بلغ أشده ، وحملات التزييف ضد الإسلام والمسلمين تجاوزت حدودها .

كما أن (خيبة) أمل المسلمين فى أوروبا وأميركا فاقت كل (خيبة) منى بها المسلمون - قبل ذلك - من أميركا وأوروبا .. !

●● وهذه الرسالة - كما أردت بها - تستهدف قيام علاقات عادلة ومتوازنة بين الإسلام والغرب ، كما أنها تستهدف - فى الوقت نفسه - تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين فى بلاد الغرب ...

منذ حوالى ألف عام .. وصف أحد أئمة الإسلام العظام - واسمه أبو حامد الغزالى - .. وصف النصيحة بأنها (سهلة) غير أنه قال : إن أصعب ما فى النصيحة ، إنما هو (قبولها) لأنها - أى النصيحة - مرة فى فم من لم يقبلها أو يتذوقها ... !

فما بالنا إذا كانت هذه النصيحة موجهة إلى رئيس أقوى دولة فى العالم ؟ ! ثم إنه رئيس يتمتع بسلطات هائلة ، ويستطيع بلمسة أصبع واحدة ، أن يحيل العالم الذى نعيش فيه إلى (خرابة) ! ! !

وأن يمحو كل أثر للحياة والأحياء فى هذه الدنيا . !

إن للنصيحة - ياسيادة الرئيس - فى شريعة الإسلام - قيمة عليا ... نصيحة واجبة على المسلم ... للمسلم ... وغير المسلم .

إنها - أى النصيحة - حركة تصحيح دائمة للحاكم .. والمجتمع ، والأمة فنحن ياسيادة الرئيس نعيش فوق سطح كوكب واحد .. وبعبارة أكثر وضوحا نركب فى سفينة واحدة وما يحدث فى أى مكان فى هذا

العالم أو فى هذه الدنيا ينعكس - سلبا وإيجابا - على أى مكان فى هذا العالم أو فى هذه الدنيا ..

ومن العجيب والغريب معا ..

أننى فى الوقت الذى بدأت أكتب فيه هذه الرسالة كانت (حاملة الطائرات جورج وشنطن) تعبر قناة السويس فى طريقها إلى الخليج لتنضم هناك إلى حاملة طائرات أخرى اسمها (نيمتز) استعداداً لتوجيه ضربة موجعة إلى الرئيس العراقى (صدام حسين) .

ألا ما أعجب تصاريف القدر .. بل ما أغرب هذه الحياة التى ينقلب فيها الصديق فجأة إلى عدو !!! لكن متى كان فى السياسة أصدقاء ..أو صدق ؟ ! فالولايات المتحدة - كما قال برتراند راسل - منذ ظهرت على مسرح الحياة - بعد نهاية الحرب العالمية الثانية - تمارس لعبة الموت مع الأصدقاء والأعداء دون تفرقة بين صديق أو عدو ! وما حدث (لشاه إيران) فى (طهران) أو ما حدث مع (نوريبجا) فى (بنما) أو ما حدث أخيرا مع (موبوتو سيسيسيكو) (١) فى (الكونغو) كلها شواهد ماثلة أمام الأعين ...

ولن يكون (صدام حسين) وأشباهه من الطغاة أغلى ولا أعز من المشير الشهيد (ضياء الحق) الذى فجرت طائرته فى الجو ، ولن يكون أغلى ولا أعز من الشهيد (الملك فيصل) الذى قتل غيلة فى قلب القصر ..!

حتى الأمم المتحدة .. لقد أصيبت بالكساح والشلل · والميثاق الذى

---

(١) وآخرهم : الرئيس الإندونيسى سوهارتو !

وقعته الأمم فى (سان فرانسيسكو) عام ١٩٤٥ أصبح قصاصة من ورق ... !

وقد فقدت (الولايات المتحدة) مصداقيتها تماما فى العالمين الإسلامى والعربى وماذا تنتظر - ياسيادة الرئيس - من المسلمين والعرب - بعد انحيازكم المطلق إلى إسرائيل .. ؟ !!!

إسرائيل التى لا تزيد مساحتها عن مساحة أصغر محافظة فى السودان أو إيران أو ليبيا ، والتى لا يزيد عدد سكانها عن سكان حى واحد من أحياء القاهرة هو (حى شبرا) ... !

إسرائيل التى فرضت فرضا على المسلمين والعرب تقف وراءها أميركا بلا تحفظ . وتنحاز إليها انحيازا كاملا ضد المسلمين والعرب .

.. المسلمون والعرب الذين يمثلون أكثر من خمسين دولة ، والذين تزيد مساحة أقطارهم على أربعين مليون كيلو متر مربع ، ويتحكمون فى مضايق العالم من (مالقا) إلى (جبل طارق) ومن قناة السويس إلى باب المندب وتمتد حدود بلادهم من المحيط (الباسيفيكى) شرقاً إلى المحيط الأطلسى (غرباً) المسلمون والعرب الذين يملكون مصادر الطاقة الرئيسية فى العالم والذين يزيد عددهم عن ألف ومائتى مليون نسمة ؟!

هؤلاء المسلمون والعرب لا قيمة لهم فى نظر أميركا .. وتنحاز ضدهم لحساب إسرائيل انحيازا مطلقاً ...

لو جئنا بأغبى (تلميذ) وفى أدنى مدرسة فى (أركانسو) أو (نورث كارولينا) لحكم بالغباء وقصر النظر على كل رؤساء أميركا .. !

وفى الوقت نفسه - أى فى الوقت الذى أكتب فيه هذه الرسالة -

تعلن أمـيـركـا عن تزويدها إسـرائيل بطائرات (أف - ١٥) القـاذفـة المتطورة . والتى تسـتطيع أن تلقى بقنابلهـا على - باكسـتـان وإيران وليبيا - فى أى وقت من النهار أو الليل . ودون حاجة للتزود بالوقـود من الأرض . !

وهذا يعنى ببـسـاطة أن الولايات المتـحدة تشن حـربا صليبـيـة على المسلمين فى مختلف أقطار العالم .. ودون مراعاة لمشاعر رد الفعل لدى هؤلاء المسلمين الذين لن يصـبـروا طويلا على هذا العـدوان الذى تجـاوز حدود (الصبر) كما تجاوز حدود (التفكير والعقل) ... ولن يتـأخر كثيراً هذا اليوم الذى يرد فـيه المسلمـون على هذا العـدوان يوم تقـتـرب ساحة (الحسم) أو (يوم الحساب) والفصل ...

إن مأساة حربكم فى (فيتنام) لا تزال حية ..

ولن يكون العرب والمسلمون أقل شجاعة وتضحيـة من شعب (فـيتنام) أو شعب (كوريا) ..!

إن اخطر شـهـوات النفس ..فى قلب (الزاهد) .. أو (الناسك) - كما يقول المتصوفة - إنما هو حب الرياسة أو السلطة ..

فكيف يكون الحال إذا كانت هذه الرياسة .. أو هذه السلطة فى أيدى رجال فقدوا نور البصيرة .. أو فى أيدى طغاة يتـصورون العالم قطيـعـاً يختارون منه فى كل يوم ذبيحة ... ؟ !

والولايات المتحدة - كما قال : (برتراند راسل) - قبل أربعين عـامـا - تعيش فى أزمة .. منذ أصبحت لها مخالب نووية تغرسها فى وجه كل من يخالف سياستها أو يقف فى طريقها .. ! كما أنها تعيش فى

نشوة غرور زائفة سرعان ما تتكشف عن فراغ هائل .. عندما تجد نفسها فى فراغ جليدى تقف فيه وحدها عارية .. أو شبه عارية .. !

إن (تركيا) التى جعلت من أرضها (قاعدة متقدمة) فى مواجهة الاتحاد السوفيتى وسخرت شعبها وجيشها لخدمة (حلف الأطلسى) تركيا هذه - وبالرغم من نظامها العلمانى المتطرف - تركيا هذه ترفض أوروبا أن تكون عضوا فى اتحادها ، وتختلق التهم وتضع العراقيل فى طريق انضمام تركيا إليها .

لأنها - أى تركيا - دولة (مسلمة) بينما يتشكل الاتحاد الأوروبى من دول (مسيحية) ... !

إن جنرالات الجيش فى تركيا - يجب طردهم فورا من الجيش ... بل تجب محاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى ، فليس من المعقول ولا من المقبول أن تنحصر مهمة هؤلاء (الجنرالات) فى تجريد الوطن والأمة من العقيدة ، وليس من المعقول ولا من المقبول أن يقف هؤلاء (الجنرالات) فى طريق أية محاولة للنهضة أو الخروج من نفق الذل والعبودية .

إن هؤلاء (الجنرالات) كما تقول صحيفة (التايمز اللندنية) على استعداد أن يكونوا (ذيلا) فى أوروبا بدلا من أن يكونوا (ملوكا) فى الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى ... !

على أن هذا وحده لا يكفى لإظهار ما يكنه الأوروبيون (١) نحو الإسلام خاصة ، وهنا فقط (نعنى فيما يتعلق بالإسلام) لا تجد موقف الأوروبى موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من

(١) الإسلام فى مفترق الطرق (تأليف) : محمد أسد (صفحة ٥٢ - ٥٣).

سائر الأديان والثقافات : بل كرها عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد ، وهذا الكره ليس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية .

قد لا تتقبل أوروبة تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير إلا أنها حالما تتجه إلي الإسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب .. ؟ ! ! !

حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام ، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته .

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع أقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور (اعتبار الأسباب المخففة) ! ! !

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ، أى أن تلك الطريقة التى لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج

الذى يقصدون أن يصلوا إليه مقدما ، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود ، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر ، أى من قبل المسلمين أنفسهم .

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام تواجهنا فى جيمع ماكتبه مستشرقو أوروبة وليس ذلك قاصرا على بلد دون آخر . إنك تجده فى أنكلترا وألمانية ، فى روسية وفرنسة ، وفى إيطالية وهولندة - وبكلمة واحدة ، فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام .

وكما يقول (مالك بن نبى) (١)

(... .. إن أوروبا التى جعلت نفسها المشرف الوحيد على الجنس البشرى لم تعترف منذ كانت مدنيتها لا تزال فى المهد ترضع اللبن العربى بأية مدنية إسلامية ..) ...

وكما يقول (جوستاف لوبون) معللا السبب الذى يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل برغم أنهم يجب أن يبتعدوا عن التعصب -

يقول :(الواقع أن استقلال الرأى ظاهرى أكثر منه حقيقى ، وذلك لأننا لسنا أحراراً قط فى تفكيرنا حول بعض المعلومات ، فقد استمر

---

(١) من كبار المفكرين المسلمين فى الجزائر - وقد تثقف ثقافة فرنسية وتوفى فى عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م بعد أن اختير عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف - ومن أهم كتبه (الظاهرة القرآنية) .

التعصب الذى ورثناه ضد الإسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءاً من تركيبنا العضوى) .(١) ...

إن الغرب - كما يقول (برتراندراسل) (كالأرض السبخة لا تنبت فيها إلا بذور الشر ... ! .. أو كما يقول (كيفين رالى) فى كتابه (الغرب والعالم) (إن الغرب هو أكبر مجرم في هذا العالم ... ! ! !

عندما قال الأمير تشارلز (ولى عهد بريطانيا) :

إننا يجب أن نتعلم من القيم الإسلامية ما يساعد على بناء المجتمع والأسرة ... قال رئيس الكنيسة :

إنه لا يجوز ولا يصح أن يتكلم الأمير الذى سيصبح ملكا على بريطانيا بهذه اللغة ! ولا يجوز أن يتحدث عن الإسلام بهذه المحبة .. !

لقد بدأت مأساة المسلمين فى البوسنة بمجرد صدور أول بيان يحدد شخصية هذه الدولة ...

لقد بدأ البيان : (بسم الله الرحمن الرحيم)

وهذه هى الخطيئة الأولى ...

كما جاء فى مقدمة البيان أن الهدف من إعلانه هو العودة إلى الإسلام.

وهذه هى الخطيئة الثانية ...

أما ثالثة الأثافى فقد كانت بسبب اختيار دولة البوسنة شعارا لها هو: (الجهاد والإيمان) ...

وتلك هى الطامة الكبرى عند الصرب واليهود وأوروبا وأميركا . !

---

(١) مستقبل الإسلام - مالك بن نبى - ص ٢٩ - طبعة بيروت .

لقد اكتفيت بنقل كلمات قصيرة مما كتب ...

(إن الرئيس (على عزت بيجوفيتش) تجاوز الكثير فى حسن ظنه بحكومات المسلمين والعرب ... لقد نسى أن (الخليفة (المعتصم) قد مات .. وأن خلفاءه من حكام العرب والمسلمين يعيشون عصر التمزق والشتات وأن (الأمة الإسلامية) تقف وراء قضبان غليظة تحول بينها وبين الانطلاق لحماية أعراضها وحرماتها من القهر والاسترقاق .. ! ! !

إن ما صرح به وزير الدفاع البريطانى ، لا يصدقه عقل . ولا يخطر ببال إبليس أن يصدر عنه مثل هذا القول ...

لقد سأله مراسل صحفى :

كيف ترسل بريطانيا قواتها إلى (البوسنة والهرسك) وتترك بريطانيا بدون قوة رادعة لأى خطر محتمل .؟ ؟

أتدرى .. ماذا قال الوزير ؟

لقد قال بالنص وبالحرف : لقد أرسلنا قواتنا إلى هناك لمنع الخطر من الوصول إلى لندن ... ! ! ! فعاد الصحفى وسأله مرة أخرى .. عن اسم هذا الخطر ..

فقال الوزير :

إنهم المسلمون (١) طبعاً .. ! ! !

لقد تركتم (البوسنة) تحترق ، كما تركتم نساءها وأطفالها تقتل

---

(١) وقد نشرت إحدى الوثائق التى تسربت من مكتب رئيس الوزراء البريطانى - السابق - (جون ميجور) وفى هذه الوثيقة يكشف رئيس الوزراء البريطانى الستار عن أبعاد المؤامرة التى تقودها بريطانيا ضد المسلمين فى أوروبا والعالم .

وتذبح .. حتى لا يغضب (يلتسين) حامى حمى الصرب ... !

وحتى فى (منطقة القوقاز) وقبل أن يختفى من الساحة (ميخائيل جوربا تشوف) وجهتم إليه إنذارا بعدم المساس بجمهوريات (بحر البلطيق) استونيا و ليتوانيا ولا تفيا ، لأنها كما قيل - فى حفل عشاء خاص أقيم على شرف جورباتشوف - جمهوريات مسيحية ...!

أما فى (أذربيجان) وغيرها من دول آسيا الوسطى ، فليفعل ما يشاء بها لأنها جمهوريات إسلامية لا يهمكم شأنها (١) .. ! ! !

وهل يشك أحد - ياسيادة الرئيس - أن أميركا وأوروبا كانت ستسحق الصرب سحقا على جرائمهم الوحشية وعمليات الإبادة والتطهير العرقى لو كان الصرب مسلمين ... !

وهل يتصور أحد حظر السلاح على (البوسنة) إذا كانت مسيحية - والمعتدى هم (٢) المسلمون ؟ !

ألم يقل : (يوجين روستو) مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق (جونسون) ، (٣) :

(يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة ، بصور

---

(١) هذا الحديث سمعه شخصيا أحد المدعوين إلى حفل العشاء الخاص وهو أميركى ... !

(٢) المأساة تعود إلى الظهور مرة ثانية فى (كوسوفا .. وعلى أيدى الصرب أيضاً .. !

(٣) الإسلام وخرافة السيف - للكاتب -

مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى . !

إن الظروف التاريخية توكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ، ولا تستطيع أميركا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها) . !

إن (روستو) يحدد أن هدف الاستعمار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وأن قيام إسرائيل ، هو جزء من هذا المخطط ، وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحروب الصليبية (١) . ؟ !

ياسيادة الرئيس :

فى كتاب ظهر عندكم فى الولايات المتحدة اسمه (النبوءة والسياسة) والمؤلفة أميريكية اسمها (جريس هالسل) أى ليست عربية ولا مسلمة .

تقول هذه الكاتبة نقلا عن كاتب أميركى اسمه (هال لندسى) من كتاب له اسمه (آخر كرة أرضية) (٢) .

(إن إسرائيل هى الخط التاريخى - أى الأساس التاريخى - لمعظم

---

(١) معركة المصير - صفحات ٨٧ - ٩٤ (سعد جمعه) المختار الإسلامى وهذا مايقوله: (صمويل هنجتون) فى كتابه (صراع الحضارات) .

(٢) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية - الأستاذ محمد السماك - ونشرته جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا .

أحداث الحاضر والمستقبل ، وقبل أن تقوم دولة إسرائيل لم نكن نعرف أى شيء ... ! ! !) .

واستنادا إلى هذه النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز فى الشرق الأوسط .. وبخاصة على إسرائيل . إن كل الأمم سوف تضطرب .. وسوف تصبح متورطة هناك (١) ...

ثم تقول : (إن الجيل الذى ولد فى عام ١٩٤٨ م سوف يشهد العودة الثانية للمسيح - أى فى هذه السنوات - ! ! ! ولكن قبل هذا الحديث علينا أن نخوض حربين :

الأولى : ضد يأجوج ومأجوج .

والثانية : فى (هر مجدون) .

وستبدأ الحرب باتحاد العرب مع الاتحاد السوفيتى فى مهاجمة إسرائيل (٢) .. ! ! !

(وإن عيسى المسيح سوف يضرب أولا أولئك الذين دنسوا مدينة القدس ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هرمجدون . فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس ، وهذا الوادى سوف يملأ بالأدوات الحربية ، والحيوانات ، وجثث الرجال والدماء .. ! ! !

ويكتب (ليندسى) أيضاً : (أن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق ..!!

إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللاإنسانية من

---

(١) لقد انتهى كل شىء يا (لندسى) ! ! ! ولم يعد هناك قلق ولا اضطراب !!

(٢) لقد ذهب الاتحاد السوفييتى ولم تبدأ الحرب .. !!!

الإنسان للإنسان . . ومع ذلك فإن الله يمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم) .. ؟ !

إن (ليندسى) لا يبدو عليه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة فى العالم سيتم تدميرها فى الحرب النووية الأخيرة ...

إن القوة الشرقية وحدها سوف تزيل ثلث سكان العالم ... ويقول (الندسى) : (عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى بحيث يكون كل شخص تقريبا قد قتل .. تحين ساعة اللحظة العظيمة فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل ...) .. ! ! !

وفى هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية ويقول (ليندسى) : (سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون ... وسينحنى كل واحد منهم ... الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح ، وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح ... ! ! !

والسؤال هو :

هل يأتى المسيح لتخريب العالم ، وإبادة القرى والمدن ، وإزهاق أرواح الملايين من البشر من أجل أن تبقى إسرائيل - وحدها - هى سيدة العالم ؟ .. ! ! !

والمصيبة الكبرى أن (الكاثوليك) أو (الفاتيكان) كان له من إسرائيل موقف متشدد ، وكان يفسر النبوءات تفسيرا يخالف - شكلا وموضوعا - تفسيرات رجال الدين (البروتستانت) .. فأرض (الميعاد) لم تكن عند (الكاثوليك) تعنى منطقة جغرافية معينة ... بل كانت

تعنى حقيقة روحية تجمع شمل المؤمنين فى (مملكة الله) فقط ...

وقد بين المسيح عليه السلام أن مملكة الله ليست كيانا سياسياً يلم شمل اليهود ... وإنما هى حقيقة روحية موطنها القلب :

ولما سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ أجابهم وقال :

(لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ، ولا يقولون هو ذا ها هنا ، أو هوذا هناك ... لأن ملكوت الله داخلكم) - (لوقا : ١٧ - ٢٠) ...

وطبقا للعهد الجديد فإن ورثة أرض الميعاد الروحية ليسوا بنى إسرائيل وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح ... لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيون ...

يقول القديس بولس :

(فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم ... وحسب الموعد ورثة) . وشعب الله المختار - فى العهد الجديد - ليس جنسا بعينه هو مايسمى بالجنس الإسرائيلى ... وإنما هو شعب عالمى من مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح :

(وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله)

(يوحنا ١٢:١)...

والمسيح ذاته أدان اليهود ، وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار حين قال لهم : (لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى .. أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا) (يوحنا ٤٢:٨) ...

كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له ، وقرر أنهم لن يكونوا فى الجنة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ..

(وأقول لكم : إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع

إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماوات .. وأما بنو الملكوت (اليهود) فيطرحون إلى الظلمة الخارجية ... هناك يكون البكاء وصرير الأسنان) .. (متى : ٨/١١ - ١٢) ...

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب ، بل لعله بدأ يدرك أن - الصهيونية لم تكن ولن تكون تحديا للعرب وحدهم ، بل كانت وستظل تحديا للعالم كله ، وللإنسانية جمعاء .

إن التجربة التى تدور رحاها اليوم على شعب فلسطين قد تكون آخر الدروس التى يلقيها القدر ، ويلقيها العدل الإلهى على بنى الإنسان .

إن العبريين الذين لم يحكموا فلسطين إلا مائة وثلاثة عشر عاماً على امتداد أكثر من أربعين قرنا يثبتون اليوم سرابهم وباطلهم بالأسلحة المدمرة الفتاكة ، بعد أن خدعوا العالم وحملوه على الصمت ، بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين ، بل جريمة كل القرون ! !

والصهيونيون الفاشيون ينسون أو يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله ...

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من أوروبا المسيحية كان الإسلام يؤويهم ويهيىء لهم مكانا آمنا فى قلب الجماعة الإسلامية ...

كانت أوروبا المسيحية ترى فيهم (قتلة الرب) و (جلادى المسيح) . بينما كان الإسلام يرى فيهم أهل كتاب .. هم والمسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الإسلامى لأهل الكتاب من أمن ورفاهية وسلام ...

لم يحمل ذلك رواد الصهيونية فيما غبر من أيام ، ولم يحمل قادتها الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التى يجترحونها فى

فلسطين وفى لبنان .

من قديم وهم يقولون :

سيكون على العرب أن يرحلوا ويخلوا لنا المكان . ! ! !

وحين كان تصريح (بلفور) لا يزال مجرد مشروع سأل الرئيس الأميركى (ولسن) القاضى (براندس) وكان من كبار مستشاريه عن مغزى هذا المشروع ... فأجابه قائلاً :

(إن اليهود الذين يطلبون تيسير سبل هجرتهم إلى فلسطين لا يبتغون فى الحقيقة إلا غاية واحدة ، وهى أن يصبحوا أكثرية فى فلسطين ، وأن يجبروا العرب على الارتحال عنها إلى الصحراء) .. !!!

كانت الغاية اللئيمة واضحة منذ البدء ، وكانت النية مبيتة من قديم على - طرد العرب من فلسطين كخطوة أولى .. ثم الخطوة الثانية قيام امبراطوريتهم من النيل إلى الفرات .. !

ولن يصرفهم عن ذلك سلام ولا مصانعة .. وفى هذا السبيل يجندون كل شىء ، بل يجندون الدول الكبرى لتحقيق جرمهم الشنيع !!!

وإنهم ليتخذون من السلام قناعا جديدا يخفون وراءه أنيابهم وأظافرهم كما اتخذوا من قبل خدعة الاضطهاد التى ضحكوا بها على العالم ، وتمسكنوا حتى تمكنوا ، ومن عجب أن الدولة التى تزعم لنفسها حق الدفاع عن حقوق الإنسان الدولة ، التى كان يجب أن تكون محترمة ، والتى لا تنى عن التلمظ بالكلمات الضخمة عما تلاقيه حقوق الإنسان من تجاهل واضطهاد .

---

(١) مجلة الدوحة - خالد محمد خالد - عدد سبتمبر ١٩٨٢ م .

هذه الدولة (أميركا) تشترك اشتراكا فعليا وأكيدا فى التخطيط لجرائم إسرائيل .

وإذا كان القصاص الإلهى يحتم أن من أعان ظالما سلط عليه ، فإن على المؤمنين بوعد الله أن ينتظروا مصيرا مفجعاً ستلقاه أميركا ذات يوم بسبب ربيبتها المدللة إسرائيل .

ولعل فرية ما لم تلق فى التاريخ نجاحا كهذه الفرية التى اسمها اللاسامية اخترعها اليهود سلاحا يحاربون به الإنسانية فى جميع صورها.. وفسروا للعالم أن العداء لليهود هو عداء للسامية أو للجنس السامى ..

ونجح اليهود بصفاقتهم المعهودة فى إخفاء (اليهودية) وراء هذه الكلمة التى سموها اللاسامية مع أن الحق كل الحق أن تكون الكلمة (اللايهودية) ومعلوم أن الجنس السامى لا يقتصر على اليهود بل على أمم وشعوب كثيرة أهمها الأمة العربية التى تشكل اليوم الجزء الأكبر من الجنس السامى ..

وقد تعامى الغرب الذى تستعبده اليهودية العالمية عن الحقيقة الكبرى وهى أن الأمة العربية اليوم وهى أصل الجنس السامى تتعرض لعدوان اليهودية العالمية والصهيونية ، ومع ذلك تنطلى على الغرب الأعمى فرية اليهود ودعواهم أنهم مضطهدون لأنهم ساميون وليس لأنهم يهود..(١) .

---

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب « خطر اليهودية العالمية » تأليف عبد التل ص ١٧٣ وما بعدها - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤ م .

● كانوا يشنون الحروب على الأمم أو يتسببون فى وقوع الحرب بين الشعوب وحينما تكتشف أصابعهم السرية وتشرع الشعوب فى اتقاء شرهم ودرء خطرهم يصيحون لا سامية .. !

● حين أضرموا نار الحروب الدينية التى التهمت ملايين المسيحيين فى أوروبا واكتشف الناس أصابعهم فيها صاحوا لا سامية ..!

حين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا فى قتل أكثر من ٨٠ مليون نسمة ، وثار بعض الأحرار الأوربيين وحاولوا كشف أصابع اليهود صاحوا لاسامية ..!

● وحين تولت أسرة ساسون فى القرن التاسع عشر (١٨٣٢ - ١٨٦٤م) تجارة الأفيون فى الصين وثار أحرار البلاد صاح اليهود لا سامية ..!

● حين تململ الشعب الروسى من طغيان ستة ملايين يهودى وأخذ يحد من نفوذهم وجشعهم ومؤامراتهم صاح اليهود لا سامية ..!

● حين اكتشف الانجليز مناجم الذهب والماس فى الترنسفال بجنوب إفريقية فى أواخر القرن التاسع عشر وهرع المغامرون اليهود لا ستغلالها ثار شعب البوير السكان الأصليون فصاح اليهود لا سامية .. !

ثم أكرهوا الإنجليز على خوض الحرب التى قصفت أعمار آلاف الشباب البريطانى لتأمين وصول الذهب والماس إلى خزائن اليهود فى بريطانيا ، ولم تزل أغلب أسهم مناجم الذهب والماس ملكا لليهود .

● كلما أمعن اليهود فى سرقة أموال شعب من الشعوب وامتلاك مصادر ثروته المعدنية والزراعية والتجارية ، وضج أحرار ذلك الشعب

صاح اليهود لا سامية .. !

● كلما فضل مواطن من المواطنين فى مختلف أنحاء العالم ، مصلحة بلاده على مصلحة اليهود المستغلين الجشعين صاح اليهود لا سامية ..!

● كلما طغى إرهاب الربا الفاحش وتحول إلى سلاح مدمر يهدد اقتصاد البلاد وحياة الشعب ، وانتقد أحرار البلاد وهاجموا الربا صاح اليهود لا سامية .. !

● إذا ضج الناس من غلاء الأسعار واحتكار مواد التموين من قبل اليهود وإذا اختنق الشعب من ذلك الاحتكار واحتج بعض أحرار البلاد صاح اليهود لا سامية ... !

● إذا طالب صوت حر أن تمتنع الأحزاب فى بريطانيا وأمريكا عن الزج بأصوات اليهود الانتخابية فى توجيه سياسة البلاد حرصا على مصلحة الوطن ، صاح اليهود وقالوا لا سامية .. !

وتآمروا على ذلك الصوت لخنقه كما حدث مع فورستال وزير الدفاع فى حكومة ترومان ، الذى قتله اليهود وقالوا إنه انتحر لأنه من معتنقى اللاسامية .. !

● إذا عم الإرهاب اليهودى جميع مرافق البلاد وروع الشعب الآمن وتحركت بعض الأقلام الشريفة لانتقاد الأوضاع التى يخلقها اليهود ، صاح اليهود لا سامية .. !

● إذا أمعن اليهود فى الغدر والخيانة وخاصة للبلد الذى يأويهم ويعطف عليهم ويمنحهم فرصة العيش بأمان وسلام ، وإذا قال الشعب أن جميع الجواسيس ضد ذلك البلد هم من اليهود ، صاح اليهود لا سامية .

● حين ألقى القبض فى روسيا السوفيتية على عدد من الأطباء اليهود سنة ١٩٥٣ م بتهمة قتل ضحايا بريئة بالأبر المسمومة ، صاح اليهود لا سامية .. !

● حين تنشر بعض الصحف أن أطباء اليهود يجرون تجارب على بعض المرضى من غير اليهود بأن يحقنوهم بخلايا سرطان حية من غير رضاهم ويحتج المرضى ويرتفع صوت استنكار لهذا العمل الوحشى الذى يساوى الإنسان بالحيوان ، يصبح اليهود فى أمريكا لا سامية .. !

● حين تظهر علامات الاشمئزاز للجرائم اليهودية الوحشية التى يمارسها اليهود فيذبحون الأطفال الأبرياء لاستخدام دمائهم فى خبز فطير العيد ، وحين يظهر استنكار ما لهذه الجرائم يصيح اليهود لا سامية .. !

● كل من يوجه أى نقد لتعاليم التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون الإجرامية يهاجمه اليهود ويصيحون لا سامية .. !

● كل من ينتقد خطط الصهيونية العالمية واليهودية العالمية للسيطرة على العالم أو للكشف عن جرائمهم ضد الأمم صرخوا بأعلى أصواتهم .. لا سامية ... !

● كل من يتعرض للماسونية الشريرة التى ترهب العالم وتخرب نفوس الملايين فى الشرق والغرب ، وكل من يقول أنها جمعية سرية يهودية مجرمة ، يهاجمه اليهود ويصيحون لا سامية .. !

● إذا رغب الأمريكان فى أن تتلى صلاة صباحية فى مدارسهم اعترض اليهود وصاحوا لا سامية .. ! فنجحوا ورفعت الصلاة الصباحية من المدارس فى الولايات المتحدة الأمريكية .

● كلما حاولت حكومة أو هيئة أو جمعية الاحتفاظ بالطابع الدينى للبلاد يهاجمها اليهود ويصيحون لا سامية .. ! وهدفهم القضاء على الدين وتشجيع الإلحاد والعلمانية ..

● إذا خرج قلم حر أو لسان صادق ليفضح الأخطبوط اليهودى المسيطر على الصحافة والإذاعة ودور النشر والمكتبات والتلفزيون وشركات الإعلان فى أغلب الدول الأوربية ، يسارع اليهود إلى تحطيم ذلك القلم وقطع ذلك اللسان ، وسلاحهم الأول اللاسامية .. !

● إذا حاول موظف فى أية دائرة أو شركة أن يلفت النظر إلى نسبة اليهود المخيفة بين موظفى تلك الدائرة أو الشركة يحطمه اليهود وسلاحهم الأكبر اللاسامية .. !

وهكذا غدت هذه الفرية أو البدعة اليهودية سلاحا رهيبا أسهم ومايزال يسهم فى دعم الحكومة اليهودية المستورة التى تسيطر على أغلب دول أوروبا وأميركا .

● ● ●

فى كتاب (أميركا و السلام) فى الشرق الأوسط (١) الذى كتبه (دان كسيرجى) قصة محزنة ومخزية ..

يقول المؤلف : إن لقاء تم بين الرئيس الأميركى الأسبق (جيمس كارتر) وبين (إسحاق رابين) رئيس وزراء إسرائيل الأسبق :

لقد وجد (كارتر) فى (رابين) شخصا متشددا .. وعندما حاول الرئيس أن يحطم الثلوج التى أزدادت كثافة بينهما فى ساعة متأخرة

---

(١) نشرته دار الشروق فى القاهرة .

ذات ليلة : دعا ضيفه إلى إلقاء نظرة على ابنته (اس) وهى نائمة :

فقال له (رابين) مبتسما : كلا .. شكرا لك (١) ... ! !

وفى الكتاب نفسه يقول الرئيس كارتر :

(إن العرب يبالغون فى قدرتى على تغيير إسرائيل .. إن تأثيرى على إسرائيل يرتبط بشكل تناسبى بمدى التأثير الذى أحصل عليه من الرأى العام الأميركى ، والكونجرس والدوائر اليهودية فى هذه البلاد .. !!!

وأود أن أكون واضحاً تماما .. إنه مع عدم وجود هذا التأييد الثلاثى فإن قدرتى على التأثير على إسرائيل ستكون قليلة (٢) ...

هل يتصور هذا الموقف من رئيس أميريكى ؟ ! ! !

وهل يقبل هذا الهوان أى رئيس عادى .. ؟ ! ! !

● ● ●

عندما كتب دستور الولايات المتحدة ألقى الزعيم الأميركى (بنيامين فرانكلين) خطابا مهما فى تلك المناسبة ، حذر فيه المواطنين الأميركيين من خبث اليهود وخطرهم على أميركا فى المستقبل ... وفيما يلى نص الجزء الكامل من خطاب (فرانكلين) الخاص بخطر اليهود :

(هناك خطر كبير على الولايات المتحدة الأميركية .. وهذا الخطر هو اليهود ...) ... ! ! !

---

(١) لقد تكرر الموقف نفسه مع (ياسر عرفات) عندما التقى بإسحاق رابين فى مدينة القاهرة . لقد رفض رابين مصافحة ياسر عرفات قائلاً : لا .. لا .. إن السلام لن يتحقق أبدا بين إسرائيل والعرب وقريبا يرفع الستار عن هذه المسرحية التى خسرها العرب والمسلمون ، ولكن إلى حين فقط !!!

(٢) كتاب (أميركا والسلام فى الشرق الأوسط ص ١٣٦ .

أيها السادة : فى أى أرض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقى منحطا والمعاملات التجارية تجرى بصورة غير شريفة ... ! ! !

بقى اليهود منطوين على أنفسهم ، وظالمين فى معاملاتهم مع الناس ، وحاولوا خنق مالية الدول مثلما جرى فى البرازيل ، وإسبانيا . .

أيها السادة : بكى اليهود مصيرهم المحزن منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة بسبب طردهم من وطنهم الأم ... ولو أن العالم قدم فلسطين إلى اليهود ملكا لهم فإنهم سيجدون أسبابا قوية لعدم العودة إليها ... لأنهم يبتزون الأموال .. ولا يستطيعون العيش بعضهم مع بعض .. ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم من الشعوب التى لا تنتمى إلى جنسهم .. وإذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأميريكية بموجب نصوص الدستور فإنهم سيقدمون على بلادنا خلال المئة عام القادمة بأعداد كبيرة تؤدى إلى أن يحكموا البلاد ويديروننا ، ويغيروا شكل حكومتنا ... وهى الأمور التى بذلنا نحن الأميريكيين فى سبيلها دماءنا وأرواحنا ، وممتلكاتنا ، وحياتنا الخاصة .

وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتى عام .. فإن أطفالنا سوف يعملون فى الحقول لإطعام اليهود .. بينما يقيم اليهود أنفسهم فى قصورهم يفركون أيديهم فرحا وسروراً .. ! ! !

إنى أحذركم أيها السادة .. وأقول لكم :

إذا لم تخرجوا اليهود من أميركا إلى الأبد فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم ... ! ! !

إن اليهود لا يتحلون بالمثل العليا التى نتحلى بها نحن الأميريكيين

.. حتى ولو عاشوا بيننا طيلة عشرة أجيال .. إن الفهد لا يستطيع أن يغير لون جلده الأرقط ... إن اليهود يشكلون خطرا على أميركا إذا سمح لهم بدخولها .. وسوف يعرضون مقوماتنا الاجتماعية للخطر .. لذلك يجب أن يخرجوا من بلادنا ... ! ! !

● ● ●

ياسيادة الرئيس :

لقد أصابت العالم الإسلامى صدمة كبرى من هذا الاستقبال الحار الذى قوبل به المدعو (سلمان رشدى) فى البيت الأبيض ومن رئيس أقوى وأعظم دولة فى العالم (١) .

إن هذه الحفاوة التى قوبل بها هذا (الكويتب) لم يحظ بها قبل ذلك مفكر أو عالم فى الولايات المتحدة أو العالم ، ولم يحدث مثل هذا اللقاء أو هذه الحفاوة ولمثل هذا الرجل حتى فى (جامايكا) أو جزيرة (جراسيا) .. ! ! !

إن التفسير الوحيد لهذا اللقاء لا يعنى سوى شىء واحد .. لا يعنى سوى كراهيتكم وعدواتكم للإسلام على طول الخط .. حتى فى مثل هذا اللقاء التافه لنكرة تافه !! فكيف يسقط رئيس أكبر دولة فى العالم فى هذا الفخ ؟ وكيف هان العرب والمسلمون فى نظركم إلى هذا الحد ؟

وقد حدث هذا فى الوقت الذى يحاكم فيه أكبر فيلسوف فرنسى - وفى فرنسا التى يقال إنها عاصمة التنوير فى العالم ...

حوكم (رجاء جارودى) بتهمة لا تمت بسبب إلى الحقيقة .. وبقانون

---

(١) المقابلة تمت مرة ثانية مع (تونى بلير) رئيس وزراء بريطانيا التى كانت عظمى ... !

عنصرى بغيض - لم يصدر - لمصلحة فرنسا ولا للشعب الفرنسى ..

لم يتحرك أحد .. ولم تتحرك منظمات حقوق الإنسان .. ولا هيئة الأمم ولم يهدد رئيس دولة بإلقاء قنبلة نووية على (باريس) كما سبق أن هدد وزير بريطانى بإلقاء مثل هذه القنبلة على (طهران) دفاعا عن المدعو (سلمان) .. ! ! !

ياسيادة الرئيس :

إن البشر - كما يقرر القرآن الكريم - إخوة .. وأبناء لأب واحد وأم واحدة :

(يا أيها الناس : اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) (١) .

(يا أيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (٢)

والإنسان فى كتابنا السماوى المقدس هو أكرم مخلوقات الله وخليفته فى أرضه .

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إنى أعلم ما لا تعلمون) (٣).

ولأنه : أى الإنسان خليفة عن الله فى الأرض ، وكان أكرم مخلوقاته

---

(١) سورة النساء : الآية رقم (١)

(٢) سورة الحجرات : الآية رقم ١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٣٠ .

بين الخلق . فـمـا نراه حـولنا فى هذا الكون من عـوالم . عـالم النجـوم والكواكب . وعـالم الحيـوان والنبات . وعـالم الطيـر والجماد .. وكل ما عرف فوق سطح هذه الأرض من جبال وبحار وما خفى فى أعماقها من معـادن وثروات ،، كل هذه العوالم خلقت من أجل هذا الإنسان وسخرت بارادة الله لتكون فى خدمة هذا الإنسان .

(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره .. إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (١) .

(ومـا ذرأ لكم فى الأرض مـخـتلفـا ألوانه إن فى ذلك لآية لقـوم يذكرون .. وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيـه ولتبتـغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون .. وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبـلا لعلكم تهتدون) . (٢) .

ولأن البشر كلهم إخوة ، وكرامتهم عند الله واحدة . فقد محا الإسلام بكلمة واحدة كل أسباب التفرقة . وأسقط كل المزاعم التى تميز إنسانا بالجنس أو اللون أو الطبقة .. .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣) .

أجل .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم ... هذا هو الميزان الحق الذى يوزن به الناس .. فالعدالة الإسلامية ترفض أى امتياز لإنسان على آخر بسبب

---

(١) سورة النحل : آية رقم ١٢ .

(٢) سورة النحل : آية ١٣ إلى آية ١٥ .

(٣) سورة الحجرات : آية رقم ١٣ .

اللون أو الجنس ، ولم يؤثر أو يعرف عن مفكرى الإسلام أو فقهائه قول يخالف هذه القاعدة التى أرسى قواعدها القرآن الكريم والنبى (صلى الله عليه وسلم) ... ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله (منتسكيو) عن الجنس الأسود بأن الله - جل وعلا - أحكم من أن يضع روحا فى جسد أسود (١) .. ! ! !

ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله (الكونت الفرنسى (جوزيف آرثر) بأن (كل شيء عظيم أو نبيل أو مثمر فى أعمال الإنسان على ظهر هذا الكوكب فى الفن والحضارة ، يصدر من نقطة انطلاق واحدة ، وينتج عن تطور جرثومة واحدة ... وينتمى لأسرة واحدة بعينها سادت فروعها المختلفة فى جميع أقطار العالم المتحضرة ... فالتاريخ يبين أن الحضارة بأسرها مصدرها الجنس الأبيض ، وأنه لا يمكن لأية حضارة أن توجد بغير عونه ، وأن أى مجتمع لا يعظم ولا يتألق إلا إذا حافظ على دم الجماعة النبيلة التى خلقته ...) (٢) .

• • •

لقد ظهر فى الولايات المتحدة كتاب اسمه (أمتان سوداء وبيضاء .. منفصلتان ، متعاديتان ، غير متساويتين) .. ! ! !

المؤلف هو (البروفيسور - أندرو هاكر) أستاذ العلوم السياسية فى جامعة (كوينز) ... QUEEN,S

يقول هذا البروفيسور :

---

(١) د / عبدالعزيز كامل () التفرقة العنصرية) - القاهرة ١٩٦٣ م .

(٢) دروس من التاريخ - (ويل ديوارت) الطبعة العربية .

إنه لا توجد كلمة تشير إلى الانحطاط والتخلف كما توجد كلمة (نيجرو) (١) فى المجتمع الأميركى ... ! ! !

إن الناس فى نظرهم نوعان فقط .. أبيض وأسود ولا يوجد وسط بين اللونين أبدا .. !!

ويقتبس البروفسور (هاكر) عبارة من مؤلف زنجى أمريكى اسمه (جيمس بولدوين) يقول فيها : (إن البيض فى أمريكا يحتاجون للسود كى يذكروهم بما أنعم الله عليهم من بياض اللون ... !!!)

وقد قام البروفسور (أندرو هاكر) بإجراء استفتاء بين طلاب الجامعة التى يدرس فيها حيث وجه إليهم هذا السؤال :

- ماهو التعويض الذى تطالب به الحكومة الأميريكية إذا حدث أن استيقظت من نومك فرأيت لونك وقد تحول فجأة من اللون الأبيض إلى اللون الأسود ؟؟ ... !!!

وكانت معظم الإجابات تقول :

(بأنه لو حدثت هذه الكارثة فإنى أطالب الحكومة بدفع مليون دولار سنويا لكل فرد يحدث له هذا التحول ..!!!)

ولم يكد ينشر هذا الكتاب الذى أشرنا إليه حتى جاءت الأحداث تؤكد كل كلمة فيه ...

فى (لوس أنجلوس) برأت إحدى المحاكم أربعة من ضباط الشرطة الذين اعتدوا بقسوة على سائق زنجى .. بالرغم من ثبوت الأدلة ضد هؤلاء الضباط ، ووجود فيلم تسجيلى للواقعة ..

---

(١) نجرو - أى أسود زنجى .NEGRO

يقول المؤرخ الشهير المعاصر (ولز) فى صدد بحثه عن تعاليم الإسلام .

(إنها أسست فى العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم ، وإنها لتنفخ فى الناس روح الكرم والسماحة كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ ، فقد أقامت مجتمعا إنسانيا لا تعصب فيه بسبب التفرقة فى الدين) ...

والقرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى يعترف بما سبقه من الكتب السماوية ويفرض على المسلم الإيمان بها إيمانه بالقرآن نفسه .

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) (١) .

فمن آمن بالقرآن ولم يؤمن بالإنجيل والتوراة - كما أنزلا من عند الله - فهو ليس مسلما ...

يقول القرآن : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) . . (٢)

وفى هذا يقول النبى محمد (صلي الله عليه وسلم) :

(مثلى ، ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون به . ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٥ .

(٢) سورة الشورى : آية ١٣ .

من أجل ذلك يقرر القرآن بأن دين الله واحد منذ الأزل ، فإذا قال القرآن : (إن الدين عند الله الإسلام) فذلك لأن الإسلام فى صورته الأخيرة التى جاء بها النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) صورة شاملة لكل الرسالات السابقة وعقيدة شاملة لكل الكتب السماوية السابقة . ودين شامل لكل أنبياء الله السابقين ورسله .

يقول القرآن :

(ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله صطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء ، إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى . قالوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) (١) .

(وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين).. (٢) ...

ولما كان من معانى الإسلام : (الانقياد والخضوع لله) فإن القرآن يعتبر كل ما فى هذه الحياة مسلما ، لأن كل ما فى الحياة خاضع لقوانين الله ومشيئته فى الخلق والحياة .

(وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرهاً) (٣) .

من أجل هذا يعتبر القرآن عالم الحيوان والطير أمة من الأمم ، لها حقوق يجب أن تلتزم وتعامل بأسلوب يراعى ويحترم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٢ .

(٢) سورة يونس آية رقم ٨٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ٨٣ .

(وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)

(١) وفى هذا يقول نبى الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) :

(بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش . فنزل بئراً : فشرب منها ثم خرج . فإذا هو بكلب يأكل الثرى من العطش - فقال لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى . فملأ خفه . ثم أمسكه بفية (٢) ثم رقى فسقى الكلب . فشكر الله له فغفر له .

قالوا : يارسول الله : وإن لنا فى البهائم أجرا ؟

قال : (فى كل كبد رطبة أجر) .

وقال نبى الإسلام (صلى الله عليه وسلم) :

(لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها الله لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) .

وحين رأى (صلى الله عليه وسلم) أحد أصحابه يحمل طائرا فى يده ونظر أمّ هذا الطائر تحوم فوق رأسه ، اعترض على هذا العمل وقال :

(من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها) ...

وقال : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) ...

وفى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر على بال أحد ...

فهم يقررون : أن نفقة الحيوان واجبة على مالكه . فإن امتنع أجبر على

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٣٨ .

(٢) أى : فمه .

بيعه أو الإنفاق عليه .. !!

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا :

إذا لجأت قطة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه لأنها لا تستطيع الذهاب إلى مكان آخر .. !!

وقالوا أيضاً :

إن لكل حيوان طاقة خاصة فلا ينبغى أن يحمل حيوان أكثر من طاقته وحددوا لكل نوع من أنواع الدواب أقصى ما يمكن أن يتحمله ...

وأكثر من هذا :

فإن أغنياء المسلمين كانوا يوقفون بعض أملاكهم لرعاية الحيوانات المسنة والمريضة ، وإطعام الكلاب والقطط الضالة .. !!

وفى تاريخنا نقرأ قصة إمام أسمه (أبو إسحاق الشيرازى) هذا الإمام كان يمشى فى طريق مع بعض أصحابه ، فتعرض لهم كلب كان يمشى فى الطريق ، فحاول بعض أصحاب هذا الإمام زجر هذا الكلب وإرغامه على الفرار والهرب ...

فصاح الإمام فيهم قائلاً :

اتركوا الكلب وشأنه ... أما علمتم أن الطريق مشترك بيننا وبينه .

• • •

إننا نحن المسلمين نؤمن ونعتقد (١) ... أن الأديان السماوية كلها تستقى من معين واحد ..

---

(١) رسالة إلى البابا - للباحث - دار المختار الإسلامى - القاهرة - ١٣٩٨ هـ وكتاب (الأقليات) للدكتور يوسف القرضاوى .

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)(١)
ونؤمن ونعتقد ، أن الأنبياء إخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعاً إيمانهم بمحمد .
(قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (٢) .
ونحن نؤمن ونعتقد .
(أن الإسلام دين ذو شعب أربع هى العقيدة والعبادة والأخلاق والشريعة .) فأما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الإسلام على أحد :
(لا إكراه فى الدين) (٣) .
(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٤) .
وقد نزلت الآية الأولى فى شأن رجال من الأنصار لهم أبناء على الديانة اليهودية أو النصرانية ، فأرادوا أن يجبروهم على تغيير دينهم إلى الإسلام . فنزلت الآية قاطعة مانعة :
(لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى) (٥)
ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم

---

(١) سورة الشورى : آية رقم ١٣ .
(٢) سورة البقرة : آية رقم ١٣٦ .
(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٦ .
(٤) سورة يونس : آية رقم ٩٩ .
(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٦ .

ويقيمون شعائرهم فى حرية وأمان كما هو منصوص عليه فى العهود التى كتبت فى عهد أبى بكر وعمر مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل إيلياء (القدس) ...

ومن شدة حساسية الإسلام أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين لما لهما من صبغة دينية ، باعتبارها من عبادات الإسلام الكبرى ، مع أن الزكاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية .

أما الأخلاق : فهى - فى أصولها - :

لا تختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض ، فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والإحسان والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء والتعاون على الخير .

فالزنا - مثلا - محرم فى هذه الديانات كلها .

والمسيح (يقول) : (من نظر بعينه فقد زنا) .

والرسول (يقول) : (العينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ... ...) .. إلخ .

والميسر ، وأكل مال اليتيم ، والقسوة على الضعفاء ، وغير ذلك من الرذائل تحرمها كل الأديان ...

بقيت الشريعة التى تنظم علائق الناس بعضهم ببعض علاقة الفرد بأمته وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالدولة ، وعلاقة الدولة بالرعية وبالدول الأخرى ..

فأما العلاقات الأسرية فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك ، فهم مخيرون بين الاحتكام إلى دينهم أو الاحتكام إلى شرعنا ولا يجبرون

على شرع الإسلام باعتبار هذه (الأحوال الشخصية) كما تسمى مما له علاقة مباشرة بالدين ، وقد أمرنا بتركهم وما يدينون (لا إكراه فى الدين) . فمن اختار منهم نظام الإسلام فى المواريث مثلا - كما يحدث فى بعض البلاد العربية فله ذلك ، ومن لم يرد فهو وما يختار .

وأما ماعدا ذلك من التشريعات المدنية والتجارية والإدارية ونحوها فشأنهم فى ذلك كشأنهم فى أية تشريعات أخرى تقتبس من الغرب أو الشرق وترتضيتها الأغلبية .

وفى العقوبات قرر الفقهاء : أن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنى . لا فيما يعتقدون حله كشرب الخمر .

يقول (بريفولت) فى كتابه (بناة الإنسانية) (١)

إن الحكومة الإسلامية ، لم تكن أبدا متعسفة ولا متعصبة فلا ظلم ، ولا قمع لحرية الفكر ، ولا محاربة لمواهب العلم ، ولا حجر على المعرفة والبحث وإن سماحة الإسلام مع أبناء الشعوب المغلوبة فى الحرب ، وعدلهم ونزاهتهم ، ومثاليتهم ، يكشف الصورة العكسية لطغيان الرومان وتعصبهم ...

• • •

ياسيادة الرئيس :

فى عام ١٩٧٨ م عقد فى مدينة (جلين ايرى) - (بولاية كلورادو) عقد مؤتمر لتنصير المسلمين ...

فى هذا المؤتمر رسمت الخطط ، ورصدت الأموال ، ووزعت الأدوار

---

(١) بناة الإنسانية : (MAKING OF HUMANITY)

بحيث يشترك فى تنفيذها جميع الكنائس ... وفى جميع أنحاء العالم .

إن هذا يعنى فى نظر أى عاقل إشعال الحروب وإثارة الفتن وتحويل العالم كله إلى (محرقة) لا ينجو منها يهودى أو مسيحى أو مسلم !!!

إنها حرب عالمية حقيقية ، فهل فكر هؤلاء (الآباء) فيما يمكن أن تؤدى إليه هذه الحرب ؟

ألم يكن أولى بهؤلاء توجيه هذه الجهود وإنفاق الأموال على شعوبهم التى فقدت الأمل فى كل شيء ... ؟

لقد نشرت مجلة - نيوزويك) (NEWS WEEK) (١) تحقيقا مذهلا عن عدد الطوائف التى بدأت تنتشر على نطاق واسع فى أمريكا وأوروبا وذلك تحت عنوان (عالم الطوائف الغريب) .

(The Strange Cults, World)

وتقول هذه المجلة :

إن مأساة مدينة (جايانا) لا تزال ماثلة أمام العين .. كيف استطاع قس مجنون اسمه - جونز) أن يسوق ضحاياه إلى الموت بابتلاع السم ، مئات من الرجال والنساء والأطفال ينتحرون فى حركة جماعية تلبية لأوامر الشيطان القس .. والذى يعرف باسم الأب (جونز) (٢) ...!!!

وبالرغم من مضى خمس عشرة سنة على حدوث هذه المأساة أو هذه المذبحة ... فلا تزال هذه الطقوس تمارس فى كل مكان .. من مدينة

---

(١) ١٦ يناير سنة ١٩٨٦ .

(٢) وهذا ما حدث أخيرا فى تكساس .. حيث قام (ديفيد قورش) بإحراق مئات الرجال والأطفال فى مستعمرة خاصة .

(برث) فى جنوب استراليا إلى مدينة (باريس) فى فرنسا ... ومن (بوجوننا) إلى (بومباى) فى الشرق الأقصى .

إن انتشار هذه الطوائف الشيطانية لا تزال آخذه فى الانتشار والتوسع ومن أهم هذه الطوائف طائفة (صن ما يونج مون) الكورى الأصل والذى يزعم أن المسيح تحدث إليه منذ حوالى نصف قرن ..!!!

لقد أصبحت الطوائف المسيحية فى البرازيل أقل عددا من الطوائف غير المسيحية ...

كما يقول الأسقف (بوهن) : إنها غارة عاصفة على المسيحية فى أقطار كثيرة ، كما يقول الأسقف .

وحيث يدعى ديفيد بأنه المسيح المنتظر ، انظر مجلة تايم ونيوزويك ١٩٩٣/٨/٧ ...

ومن الأمور المحيرة .. أن تقف الكنيسة موقفا سلبيا من كل هذه الظواهر العاصفة والمدمرة ، والتى تحيط بها من كل ناحية .

إن الكنائس متفرغة فقط لمطاردة الإسلام وحصاره ، لقد هربت من معركتها الحقيقية لتحارب (بالتنصير) فى جهات أخرى ضد المسلمين فى آسيا وإفريقيا .. وهى بهذا الهروب ترتكب خطيئتين فى حق نفسها ، وفى حق المسيحية فهى :

أولاً : تثبت فشلها فى مواجهة الوثنية والخرافة ، وهذه خطيئتها الأولى.

ثانياً : لم تتوقف عن إرسال جحافل المنصرين للعدوان على الإسلام والمسلمين فى أنحاء الدنيا .

وهذه هى أكبر الخطايا .. والعقبة الكؤود فى طريق أى تفاهم حقيقى بين الذئب والضحايا .. ! ! !

• • •

ياسيادة الرئيس :

لقد كشفت إحصائية رسمية أمريكية أن ثلث أعضاء مجلس الشيوخ لم يسبق لهم استخراج جوازات سفر وبالتالى فهم لم يغادروا بلادهم مرة واحدة فى حياتهم ، ولم يعرفوا من شئون الدنيا إلا شئون بلادهم .

وقد تلقفت مجلة (نيو ، إس ، نيوز ، أند وورلد ريبورت) هذه المعلومة لتذكر فى مقال افتتاحى لها أن انفصال أعضاء مجلس الشيوخ عن العالم الخارجى ، يحمل نتائج خطيرة على تعامل القيادة الأمريكية مع الشئون العالمية ، فالمفترض أن يكون المشرعون الذين يصدقون على القرارات الخاصة بمشكلات العالم ابتداء من الشئون العسكرية إلى أمور التجارة ملمين بما يجرى فى العالم .

وأضافت المجلة أن هناك معلومة أخرى تستشهد بها على أهمية هذا الموضوع فذكرت واقعة زيارة ٢٠٠ عضو بالبرلمان الألمانى للولايات المتحدة فى عام ١٩٩٥ ، وكيف تبين وقتها أن أحدا من أعضاء الكونجرس لم يكن قد سبق له زيارة ألمانيا .

وإثارة هذه الظاهرة جاءت فى تيار مناقشات بدأت منذ أوائل العام الحالى فى مراكز البحوث وعدد من المجلات المتخصصة ، ثم انتقلت إلى الصحف اليومية حول الخطر الذى تمثله سيطرة بعض الأقليات وجماعات الضغط على اتجاهات أعضاء الكونجرس عند التصويت على قضايا

السياسة الخارجية والتى تكون استجابة لرغبة ومصالح هذه الجماعات وليس فى إطار التعبير عن مصالح الولايات المتحدة .

وهو ما بدأ يكشف للأمريكيين أن الخطر أكبر مما كان متصورا عندما يكون عضو الكونجرس الذى يخضع لمثل هذه الضغوط لا علم له أصلا بالقضية التى تناقش والتى يصوت عليها لصالح جانب أو آخر .

ومن الواضح أن الأمور المتعلقة بصناعة القرار السياسى ، خاصة فى مجال السياسة الخارجية قد بدأت تتلاشى واحدة بعد الأخرى لتفتح الباب لتساؤلات عديدة حول مدى تعبير الكثير من قرارات السياسة الخارجية عن حقيقة مصالح الولايات المتحدة كدولة وشعب .

إنها لكارثة كبرى أن يكون أعضاء (الكونجرس) بهذا القدر من الجهالة وفقدان الرؤية .

إن هذه الجهالة بشئون العالم سوف تقود أميركا والعالم كله إلى كارثة !

• • •

من مكتشف أميركا ؟ ياسيادة الرئيس :

هل هو (فيكنج لايف ايركسون) النرويجى ؟

أم هو (كريستوفر كولمبس) ؟

إن المكتشف الحقيقى لأميركا هم المسلمون فعندما انعقد مؤتمر الجمعية الأميركية للمستشرقين الأميركيين فى (فلادلفيا) وفى لجنة بحوث الشرق الأقصى ألقى (البروفسور الدكتور هويلين لى) أستاذ علم النباتات فى كلية الزراعة بجامعة بنسلفانيا وهو صينى الأصل خطابا أمام اللجنة المتخصصة فى شئون الشرق الأقصى قرر فيه أن البحارة

العرب هم الذين اكتشفوا أميركا قبل (كريستوفر كولمبس) وقد خصص الدكتور (هويلين لى) فى الثمانى سنوات الأخيرة أبحاثه على النباتات والفاكهة والحيوانات المختلفة التى نتجت من تنقلات الشعوب وأسفارهم ، وأثناء أبحاثه عثر على وثيقتين باللغة الصينية من القرن الثانى عشر بعد الميلاد :

إحداهما : تسمى لينج واى تاى تاه (أى : ما وراء البحار) .

والثانية : من القرن الثالث عشر تسمى (تشن فان شى) (أى : وصف الشعوب الأجنبية) وفى هاتين الوثيقتين يذكر أن هذه الأرض (مولان بى) اكتشفها (تاشى) ومعناها بالصينية (المسلمون) ولكى يصل العرب إلى (مولان بى) حسب المعلومات الصينية كانوا مضطرين لقضاء ما يزيد على مائة يوم فى البحر بواسطة مراكب شراعية كبيرة جدا ومتجهة دائماً إلى الغرب .

ولقد فكر العلماء آنذاك أن هذه السفرات للعرب كانت فى البحر الأبيض المتوسط من الإسكندرية لجنوب إسبانيا .

ولكن الدكتور (لى) يساوره الشك فى صحة هذا لأن الوثائق الأخرى وكذلك طول الزمن المستغرق فى السفر يشير إلى أن المسافة لم تكن لإسبانيا وخصوصا وأن الفينيقيين والقدامى كانوا يصلون إلى إسبانيا فى مدة أقصر كثيرا مما ذكر .

كذلك مما يثبت نظرية الدكتور (لى) البحوث المبنية على دراسة علم النباتات فالمعلومات التى حصل عليها عن القرن الثانى عشر والثالث عشر تدل على وجود بعض النباتات فى (مولان بى) لم تكن معروفة

قبل (كولمبس) فى العالم القديم (أوروبا) حتى وصول (كولمبس) أميركا (ومعنى ذلك أنها جاءت من غير أوروبا وقبل (كولمبس) ، ومن هذه النباتات الذرة الكبيرة والتى تبلغ قدما أو أكثر فى ارتفاعها ، وكذلك القرع الكبير الذى تكفى الواحدة منه لعشرين رجلا ، والفاكهة النادرة مثل (اتوكادو ، والجوافة ،والأناناس) وكذلك ذكروا وجود حيوان يشبه الغنم له ذيل عريض وهو الحيوان (جوانكو) ويشبه (اللاما) (لاما من أميركا الجنوبية) .

وبذلك يتضح أن البحارة العرب وصلوا لأميركا عام ألف ومائة تقريبا بعد الميلاد وكانوا يبدأون سفرهم من الدار البيضاء غربا إلي السواحل الشمالية من أميركا الجنوبية ...

لقد أشار الدكتور (ت . ب . ايرفنج) (١) فى حوار ممتع نشر فى سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، أشار إلى وصول المسلمين إلى أميركا اللاتينية قبل وصول الإسبان إلى العالم الجديد ، وكان هذا الوصول المبكر من مسلمى شمالى وغربى إفريقيا ، ومن مسلمى الأندلس ، ودعم رأيه بالعديد من الأدلة .. منها التقاليد الموروثة عند الهنود بالأميركتين ، ومنها التأثير الإفريقى فى الصناعة التقليدية لدى الهنود الأميركيين ومنها ما عثر عليه من آثار مكتوبة فى الصخر فى ٩٠ موقعا بأميركا الجنوبية والوسطى كتبت بحروف من لغة الماندنج بغرب إفريقيا .

ومن الأدلة تلكم البعثات الكشفية التى أرسلها ملوك دولة مالى الإسلامية فى غربى إفريقيا فى عهد (مانسى أبو بكر) ، وحكى

(١) أستاذ بجامعة (تنيسى TENNESSEE) فى الولايات المتحدة .

قصتها) السلطان (مانسى) فى حجه إلى البقاع المقدسة ، حيث مر بالقاهرة وقص هذا على سلطان مصر ، وأشار إليها المؤرخ العمرى .

ولقد سبقت هذه الرحلات الكشفية الإسلامية وصول كولبس بمئة وثمانين سنة ، ومن الأدلة التى اعتمد عليها دكتور إيرفنج فى إثبات وصول المسلمين إلى العالم الجديد قبل كولبس ، ما وجد من عملة معدنية عربية ضربت فى سنة ٨٠٠ هـ ، واكتشفها فى سواحل أمريكا الجنوبية ، وترجع إلى الأندلس ، مما يثبت أن مسلمى قرطبة ، وصلوا إلى العالم الجديد قبل كولبس .

ولقد أشار « المسعودى » فى « مروج الذهب » (كتب سنة ٣٣٩هـ ٩٥٦م) إلى كتاب له (أكابر الزمان) أشار إلى رحلات مسلمى قرطبة عبر المحيط الأطلنطى (بحر الظلمات) ، ولقد استفاد كولبس من رحلات المسلمين عبر الأطلنطى إلى العالم الجديد ، استفاد منها فى رحلاته الكشفية ، فلقد ذكر فى سجلات رحلاته :

أن الهنود الأميركيين حدثوه عن علاقات تجارية سابقة مع الإفريقيين ولقد شاهد (أميركى فسبوتشى) فى وسط الأطلنطى فى عودته زوارق الماندينج من غامبيا فى غربى إفريقيا ، وهكذا كان الوصول الأول للإسلام إلى العالم الجديد مبكرا ، وتلا ذلك وصول آخر تمثل فى المسلمين الذين قدموا مع الإسبان والبرتغاليين ، أولئك الذين كانوا يكتمون إسلامهم خوفا من بطش محاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية .

ولقد جمع عدد من الباحثين (الانثروبولوجين) أمثال (تيدور دويت) و (وليم برون) ، و (جمس هامليتون) بعض المعلومات عن الرقيق

المسلم بالولايات المتحدة ، حيث التقى (تيدور دويت) بـ (أيوب سليمان ديالو) وكان أميرا مسلما استرق فى سنة ١١٤٤ هـ-١٧٣١م.
وهناك العديد من الباحثين الذين كتبوا عن تجارة الرقيق ، وكتبوا عن قصص واقعية لبعض أفراد الرقيق المسلم فى الولايات المتحدة والعالم الجديد .

• • •

ياسيادة الرئيس :

فى برنامج أذيع على قناة (شبكة الإذاعة المسيحية) من فرجينيا قال رجل أميركى اسمه (بات روبنسون) يقال إنه كان مرشحا لرئاسة الولايات المتحدة قال فى إحدى حلقات برنامج بثته هذه الإذاعة :

إن المسلمين العرب كانوا هم تجار الرقيق فى إفريقيا ، ثم يتعجب ويندهش من كثرة دخول الأميركيين الزنوج فى الإسلام ويتساءل ...

كيف يعتنق هؤلاء الأميركيون الزنوج (دين) الذين استرقوهم أو استرقوا آباءهم وأجدادهم ؟ !

وأحمد الله يا سيادة الرئيس أن مثل هذا الحقود الجاهل لم يصل إلى البيت الأبيض وإلا كان أول عمل يقوم به إصدارقرار رئاسى بمحو العرب والمسلمين فى جميع أنحاء العالم ... ! ! ! ولست أدرى كيف غاب عن هذا الحقود الجاهل تاريخ الولايات المتحدة ؟

وكيف يجهل أبسط الحقائق التاريخية فى تاريخ بلاده ووطنه . ؟

ثم كيف غابت عن رجال الدين فى أميركا هذه الحقائق التى يعرفها أى قارىء لتاريخ أميركا .. ؟

إننى لا أريد نبش القبور ، لكن أن تهدر الحقائق ، ويدفن الحق فى أعماق المقابر ، يصبح من الواجب كشف القناع وإزاحة الستار عن هذا الحق وعن هذه الحقائق .. ! ! !

لقد كان الرق نظاما طبيعيا عند اليونان ، وقد أقره فلاسفتهم جميعا بل إن أفلاطون اعتبره عملا ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه وكان قاسيا فى النظام الذى سنه لعقاب الأرقاء فيما يسمى بالجمهورية الفاضلة التى كان يحلم بها ...

ومن رأيه أن الرحمة إذا وجبت بالأرقاء فليس لأنهم أناس يستحقوق الرحمة ، بل لأنهم فقراء أخساء لا يليق بالأحرار أن ينزلوا إلى عقابهم وإيذائهم .. ! ! !

وقد اشتركت الحضارات القديمة كلها فى هذه الجريمة فالقانون الرومانى - الذى لا يزال معمولا به فى أوروبا - كان يرى الرق شيئاً طبيعيا ، وكان يبيح للدائن أن يبيع مدينه إذا عجز عن الوفاء ، بل كان الرومان يعدون الأسرى والسبايا وسكان البلد المفتوح ملكا للفاتح يتصرف فيهم كيف يشاء فله أن يقتلهم ومن حقه أن يستعبدهم ومن حقه أن يبيعهم .. كذلك . كان النظام فى بلاد الفرس ..

وفى الهند كان القانون يقسم الناس إلى أربع طبقات ، فى قمتها البراهمة وفى قاعها (الشودر أو (المنبوذين) ...

أما عند اليهود فقد عرفوا بهذه النزعة الهمجية .. فهم يرون أن جميع الناس - ماعدا اليهود طبعا - إنما خلقهم الله ليكونوا فى خدمة اليهود. وكان الإسرائيليون يسترقون جميع النساء والأطفال فى البلد الذى

يغلبونه .. أما الرجال فقد كانوا يضربون رقابهم بحد السيف ويفنوهم جميعاً كما أمرتهم الكتب التى يقدسونها ...

وفى سفر التكوين : أن حام بن نوح .. وهو ابن كنعان كان قد أغضب أباه .. لأن نوحا سكر يوما .. ثم تعرى وهو نائم .. فأبصره حام كذلك.. فلما علم ، نوح بهذا بعد استيقاظه ، غضب ولعن نسله الذين هم كنعان .. أى العرب ... أو الفلسطينيين .. !!!

وقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته ... وليكن كنعان عبدا لهم .. وبذلك تأكد الاعتراف بالرق فى كتبهم التى يرون قداستها ... وبما أن المسيح ... قد جاء ليكمل الناموس ... أى الشريعة اليهودية ولم يجىء لينقضها . فقد أقرت المسيحية الرق الذى أقره اليهود من قبل ... ولم يجىء فى الإنجيل نص واحد يحرمه أو حتى يستنكره .

بل إن بولس الرسول قال فى رسالته إلى أهل (أفسيس) الإصحاح السادس :

أيها العبيد ... أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد للمسيح .

كذلك فعل القديس بطرس ... ثم جاء توماس الأكوينى الذى مزج رأى الدين بالفلسفة فلم يعترض على الرق بل زكاه لأنه حالة ضرورية ..

بل نصح القديس (أزيدوروس) الأرقاء ألا يطلبوا الحرية حتى لو أمرهم أسيادهم بذلك لأن البقاء فى العبودية يخفف عن العبد الحساب يوم القيامة ، وأن المساواة التى تعنيها المسيحية ليست هنا بل فى مملكة

المسيح السماوية . ؟ !

وفى معجم (لاروس) وهو معجم فرنسى كتبه أساتذة مسيحيون يقول بالنص : (لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم ، فإن رجال الدين المسيحى يقرون بصحته ويسلمون بمشروعيته ولم يثبت مطلقا أنهم استنكروه أو طالبوا بإلغائه) ...

وفى قاموس الكتاب المقدس للدكتور (جورج يوسف) تأكيد لما جاء فى معجم لاروس وتكرار لكل ما قاله وما جاء فيه .

لقد حدث منذ عشر سنوات أن قامت الكنيسة بأغرب عملية اختطاف واسترقاق ... وكان لها ضجة عالمية ...

فقد ثبت أن الكنيسة الكاثوليكية قامت بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية كيرالا الهندية ... وحين أجرى التحقيق اعترف الكاردينال بأن هذه العملية كانت تتم بعلم البابا ورعايته ... ؟ !!

وعندما جاء الإسلام كان الرق كما يقول الفيلسوف الألمانى (جوته) (حكمة) فى رأى بعض الفلاسفة .. (وضرورة) .. كما يزعم الطغاة والجبابرة .. (وقدراً) كما كان يتكلم المتحدثون باسم الدين ...

كانت هناك عدة مصادر لهذا الاسترقاق الذى اصطدم الإسلام بوجوده .

المصدر الأول : -

الحرب بجميع أنواعها فكان الأسير فى أية حرب أهلية أو خارجية يسترق ويستعبد ...

المصدر الثانى : -

القرصنة أو الخطف فكان ضحايا هذه العمليات الهمجية يسترقون

ويفرض عليهم الرق .

المصدر الثالث : -

ارتكاب بعض الجرائم كالزنا والقتل والسرقة فكان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق إما لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجنى عليه .

المصدر الرابع :-

عجز المدين عن دفع دينه فكان يحكم عليه بالرق لصالح الدائن وقد كان هذا الاسترقاق معمولا به فى الحبشة مع المسلمين وحدهم .. !

المصدر الخامس : -

سلطة الوالد على أولاده فكان يباح له أن يبيعهم فى حالة الفقر .. وكذلك بيع الزوجات ، وكان موجودا إلى عهد قريب فى أوروبا .. فقد حاول رجل إنجليزى بيع زوجته سنة ١٩٣١ م وحين رفع الأمر إلى المحكمة رفضت البيع .. ثم قالت :

(أن هذا القانون أبطل .. ؟ ! !)

المصدر السادس : -

بيع الرجل نفسه لرجل آخر لقاء ثمن معين ...

المصدر السابع : -

تناسل الأرقاء فكان ولد الأمة يولد رقيقا حتى لو كان أبوه حرا ...

وكان هذا النوع من الرق مصدرا كبيرا للأرقاء فى هذا العصر ...

فماذا فعل الإسلام ؟

كان أول ما فعل أن أبطل وألغى كل أنواع الاسترقاق .. وتريث بالنسبة لنوعين فقط من أنواع الرق .. هما رق الحرب ورق الوراثة ..

تريث بالنسبة لهذين النوعين فقط جريا على عادته فى علاج الأمور بالتدريج خطوة خطوة ... كما فعل مع الخمر ..

ثم فرض بعد ذلك على هذين النوعين من الرق كثيرا من القيود التى تقضى عليهما فى نهاية الأمر .

بالنسبة لرق الوراثة قرر الإسلام أن الأمة التى تلد ولدا من سيدها يصبح هذا الولد حرا على الفور متى اعترف به السيد ...

أما بالنسبة لرق الحرب فقد قرر الإسلام أن أسرى الحرب بين طائفتين مسلمتين لا يسترقون أبدا فلا يجوز لمسلم أن يسترق مسلما .

أما الأسرى الذين يؤسرون فى حروب بين المسلمين وغير المسلمين فقد قرر الإسلام :

أنه لا يصح استرقاق هؤلاء .. إلا بشروط ، أهمها أن تكون هذه الحرب حربا شرعية أى يجيزها الإسلام فإذا كانت هذه الحرب مما لا يجيزه الإسلام ، فلا استرقاق لأحد من المأسورين ..

وحتى لو كانت هذه الحرب مما يجيزه الإسلام ، وكان الطرف الآخر هو المعتدى فإن الاسترقاق ليس شيئاً حتميا بل يجوز للإمام أن يطلق سراح الأسير بدون فدية أو بفدية ، أو نظير عمل يقوم به - كما حدث فى بدر - أو فى نظير أسري من المسلمين عند العدو ...

والقرآن الكريم لم يتعرض لكلمة الاسترقاق أبدا ...

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء ..)

وبهذا يتبين ما فعله الإسلام حيال مصادر الرق .. لقد قضى عليها

ماعدا اثنين .. ثم قيد هذين الاثنين بقيود تقضى عليهما فى النهاية ..

هل هذا فقط كل ما عمله الإسلام ؟

لقد فتح الإسلام أمام الرقيق أبواب الحرية ، وأتاح لهم فرصا كثيرة .. مثلا إذا قال السيد لعبده أنت حر .. حتى على سبيل المزاح ، فإن العبد يصبح حرا .. حتى لو كان هذا السيد فاقدا للرشد ..

ومثل آخر ... إذا جرى على لسان السيد كلمة (تدبير) أى الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده .. فإن هذا العبد يصبح حرا بعد موت السيد حتى ولو كان السيد مازحا .. أو لاهيا ..

ومن أسباب العتق أن يأتى السيد من جاريته بولد يعترف ببنوته فإن هذا الولد يعتبر حرا من يوم ولادته وتصبح أمه حرة بمجرد وفاة السيد .

ومن أسباب العتق فى الإسلام (المكاتبة) بأن يتفق السيد مع عبده على مبلغ معين يسدده له بعدها يصبح هذا العبد حرا .

ولتأكيد أن الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق ...

فإن جزءا من ميزانية الدولة خصص لمساعدة الأرقاء فى تحرير أنفسهم .. (إنما الصدقات . للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها . والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل) ...

وقد سأل جريج عطاء بن رياح :

أواجب على إذا طلب منى مملوكى أن أكاتبه ؟

فقال عطاء : ما أراه إلا واجبا .

ثم قرأ قول الله تعالى :

(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم

خيرا) ...

هل اكتفى الإسلام بذلك ؟

لاتزال هناك وسائل أخرى ...

لقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء وجعل كفارتها تحرير الأرقاء ...

ومن هذه الجرائم والمخالفات ما يأتى :

أولا : كفارة القتل الخطأ :

(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة)

ثانياً : الحنث فى اليمين :

(لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم .. ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) ...

ثالثاً : كفارة الظهار (١) :

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) .

رابعاً :

جعل الإسلام عتق العبيد وتحريرهم من أعظم القربات عند الله حتى كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يضرب به المثل فى الحث على الصالح من الأعمال :

(من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة أو يكون ثوابه عند الله كثواب من

(١) الظهار : هو أن يقول الزوج لزوجته أنت على كظهر أمى .

أعتق رقبة) ...

وماذا أيضا .. ؟

لقد سن الإسلام من الشرائع والقوانين لحماية الأرقاء ومعاملتهم أحسن معاملة - فى حالة عدم تحريرهم - ما يكفل لهؤلاء الأرقاء حياة أكرم وأحسن من حياة كثيرين ممن يسمون بالأحرار فى هذا العصر .

يقول النبى (صلى الله عليه وسلم)

(لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم ...) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول :

(إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) ...

وأمر النبى أن ينادى الرقيق بألفاظ لا تجرح مشاعرهم ولا تخدش كرامتهم ..

(لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ولا يقل المملوك ربى وربتى وليقل المالك فتاى وفتاتى وليقل المملوك سيدتى وسيدى فإنكم المملوكون والرب هو الله عز وجل) .

ورأى النبى رجلا على دابة وغلامه - أى عبده - يسعى خلفه فقال :

يا عبدالله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك ..

يقول (فاندبرج) :

لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرقيق تدل علي ما كان ينطوى عليه محمد (صلى الله عليه وسلم) من شعور إنسانى نبيل يناقض كل المناقضة تلك الأساليب التى كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى

أنها تمشى فى طليعة الحضارة .

لهذا كان كثير من الرقيق يفضل حياة الرق فى ظلال هذه المبادىء على الحرية الوهمية فى بلاد وأمم تسترق شعوبها بالجملة .

هذا هو موقف الأديان .. وموقف الإسلام ..

فماذا فعلت أوروبا ... ؟

• • •

عندما اتصلت أوروبا بإفريقيا كان هذا الاتصال مأساة إنسانية عرضت سكان هذه القارة لليل طويل استمر خمسة قرون متوالية .

مأساة اشتركت فيها كل شعوب أوروبا وبخاصة الإسبان والبرتغاليين والإنجليز ، كان يتم اصطياد الرقيق من سواحل إفريقيا بعد اشعال النار فى الأكواخ التى يعيشون فيها ..

كان يموت فى عملية القبض جماعات كثيرة . وكان ثلث الباقين يموت أثناء عملية الشحن أثناء الرحلة أما من كانوا يموتون فى المستعمرات فلا حصر لهم ، لقد دخل مستعمرة (جامايكا) عام ١٨٢٠ م حوالى ٨٠٠ر٠٠٠ (ثمانمائة ألف) مات منهم نصف مليون فى سنة واحدة !

إن بريطانيا اختطفت حوالى ثلاثة ملايين من شواطىء إفريقيا ..

وكانت القواعد التى يتجمع فيها هذا الرقيق قبل تصديره إلى أميركا فى (ليفربول ولندن وبريستول ولانكشير) وكانت الملكة إليزابيث الأولى تشارك فى هذه العملية ، وكانت شريكة لـ (جون هوكنز) أكبر تاجر رقيق في تاريخ العالم ، وقد أنعمت عليه الملكة بلقب سير ، وجعلت شعاره رقيقا يرفل فى القيود والسلاسل .. !

ومن الأشياء المضحكة أن السفينة التى أعارتها الملكة لجون هوكنز اسمها (يسوع !!!) وقد طلبت الحكومة الإنجليزية من رجال الدين المسيحى الفتاوى التى تبيح لهذه الحكومة استرقاق البشر ...

فقام رجال الدين بالمطلوب .. وكتبوا لها ما جاء فى أسفار العهدين القديم والجديد من إباحة استعباد البشر ... !!!

فى الحضارة الأوروبية لم يكن للرقيق أية حقوق ، بل العكس .. فقد صدر قانون يقول :

من اعتدى من الرقيق - أقل اعتداء على أحد من السادة يقتل وإذا أبق أى هرب قطعت أذناه ورجلاه وكوى بالحديد بالنار وإذا هرب للمرة الثانية قتل ...

أما السيد فإنه لا يعاقب ولو قتل ألف زنجى ... !!!

وقد اشتركت الكنيسة فى هذه المأساة بصورة أخرى .. إنها لم تكتف بإصدار الفتاوى التى تبيح استرقاق الإفريقى ، بل كانت ترسل القساوسة والكهان إلى موانىء الشحن والتصدير ليباركوا هؤلاء المساكين ، ويخلصوا أرواحهم الشريرة من التفكير أو العودة إلى بلادهم التى اختطفوا منها حتى لا يحرموا من ملكوت المسيح وكانوا يتقاضون مبلغا معينا من المال على كل رأس تساق إلى مخازن التصدير .. ؟ !!!

هل تذكرون قصة ـ كينتا كونتى) .. ؟

ياسيادة الرئيس :

(كينتا) .. هذا هو بطل كتاب (جذور) الذى يروى فيه (أليكس هيلى) قصته منذ ولد فى قرية جوفيور فى جامبيا إلى أن مات فى

تنيسى فى أمريكا ويرويها فى مئات من الصفحات فى جولات شائقة فى تاريخ إفريقيا ولمحات سريعة عن العرب والإسلام .. وصورة بشعة عن الاستعمار الأوروبى .. ويروى من خلال هذا كله قصة الحرية الإنسانية التى مرت عبر التاريخ بكل المآسى ..

والشىء المحزن .. أنه لا يزال فى هذا العصر من يطلق عليهم لقب فلاسفة ومن هؤلاء رجل اسمه (لونج) هذا الفيلسوف العنصرى يقول فى كتاب اسمه (تاريخ جامايكا) - إحدى دويلات البحر الكاريبى - يقول هذا العنصرى المتفلسف عن الزنوج :

إنهم غير خليقين بالحياة .. وإنهم لا يزيدون عن القرود التى تتعلم لتأكل وتشرب ، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أية سلعة تباع فى الأسواق ..!

.. وهناك قضية مشهورة عرفت بقضية السفينة (زرنج) ، هذه السفينة شحنت بمجموعة من المخطوفين من شواطئ إفريقيا .. .. .. كما رأينا ذلك فى قصة (الجذور) لقد حدث أن كابتن هذه السفينة وهو فى طريق عودته إلى أميركا أن ألقى فى البحر بمائة وثلاثين زنجيا بحجة نقص الماء فى السفينة وحين رفعت هذه القضية إلى المحكمة ...

وأرجو ألا يخطر ببالكم أن رفع الأمر إلى المحكمة كان بسبب إلقائهم فى البحر .. ولكن بسبب آخر فى منتهى القسوة والهمجية ..

لقد كان تجار الرقيق ينتظرون وصول هذه الشحنة التى دفعوا ثمنها مقدما فكيف نقصت هذه الشحنة .. ونقص العدد ١٣٠ عبدا .. ؟

إن السبب تجارى بحت لا صلة له بالشرف ولا بكرامة الإنسان ..

ولا بحقوق هذا الإنسان الأسود الذى لا يعترف به كإنسان .. ؟
ولهذا حكمت المحكمة ببراءة الكابتن المتوحش من تعمد إتلاف البضاعة .. بل كان عمله هذا ضروريا للحفاظ على بقية الصفقة .. !!!
أما الإسلام فإنه ينظر إلى الإنسانية كحديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها دون أن يكون للون فضل على لون أو لصورة على صورة (١) .
استمع إلى هذا الحديث الذى يقول فيه النبى (صلى الله عليه وسلم) :
(أنا سابق العرب ..
وصهيب سابق الروم ..
وسلمان سابق الفرس ..
وبلال سابق الحبش ..) ..
ويقول (صلى الله عليه وسلم) :
(لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن عند الله أهون على الله تعالى من الجعلان - أى : الدويبة السوداء التى تكون فى الأماكن الرطبة -)
بل نقرأ :
أن أبا سفيان مر على سلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله ...
وسمع ذلك أبو بكر فقال :
أتقولون هذا لشيخ قريش ؟
وذهب أبو بكر وأخبر النبى (صلى الله عليه وسلم) بما سمع وبما قال

(١) دكتور عبدالعزيز كامل - الإسلام والتفرقة العنصرية - .

.. فقال النبى لأبى بكر :

(يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟

إن كنت أغضبتهم ، فقد أغضبت ربك ..)

فأتاهم أبو بكر وقال :

- يا إخوتاه أأغضبتكم ؟

- ما غضبنا يغفر الله لك ...

- وكان عمر يقول :

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ، يقصد (بلالا) العبد السابق ...

- وقد تزوج (بلال) العبد السابق - أخت عبدالرحمن بن عوف (القرشى) التاجر الكبير ..

- وأعتق الإمام الحسين جارية ثم تزوجها فكتب إليه معاوية يقول :

كيف تتزوج جارية .. ؟

فقال له الإمام الحسين :

لقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة .. وقد آخى النبى بين بلال الأسود وبين خالد بن رويحة ..

- وآخى بين زيد (العبد السابق) وبين عمه حمزة ...

- وآخى بين أبى بكر وبين خارجة بن زيد ...

- لقد زوج النبى مولاه زيد من ابنة عمته زينب القرشية .

- وعقد لواء الجيش لأسامة بن زيد وفيه كبار الصحابة .

- وعندما جاء المسلمون لفتح مصر وقفوا أمام حصن بابليون فأرسل المقوقس يطلب مفاوضا من المسلمين .

فأرسل عمرو بن العاص جماعة على رأسهم عبادة بن الصامت - وكان عبادة أسود شديد السواد طويلا حتى قالوا إن طوله عشرة أشبار ..

فلما دخلوا على المقوقس . هابه لشدة سواده .. وقال : نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى .. !!!

فقالوا له : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا

فقال لهم : كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وكان يجب أن يكون أقلكم ...

فقالوا له : إنه وإن كان أسود كما ترى فهو أحسننا رأيا وعقلا وسابقة فى الإيمان ...

فقال له المقوقس : تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك !!!

فقال عبادة وقد أدرك فزع المقوقس وخوفه من لونه :

(إن فى جيشنا ألف أسود هم أشد سوادا منى ... !!!) .

• • •

أذكر ياسيادة الرئيس :

أن تقريرا نشر أيام سلفك الأسبق الرئيس (رونالد ريجان) تحت عنوان (أمة فى خطر) .. وفى هذا التقرير اتضح للعالم كله أن التعليم فى المدارس والجامعات الأمريكية قد بلغ مرحلة الخطر ، وأن الجهالة والأمية تكاد تصبح السمة الغالبة فى معاهد التعليم والعلم .

لم يكن يخطر ببالى أن يهبط التعليم فى الولايات المتحدة إلى هذا الحد.

حتى قرأت هذا الكتاب الذى ألفه المعلق السياسى (بيتر ما نسفيلد).

إن ما كتبه هذا الرجل فى كتابه يستحيل تصوره فى أى عقل (١) .

يقول هذا الكاتب : فى الأسبوع الأول لتدريسنا فى مدرسة (أرامكو) وجهنا بعض الأسئلة إلى الدارسين فى هذه المدرسة ...

كان السؤال الأول : ماذا تعرف عن النبى محمد ؟

وكان السؤال الثانى : ماذا تعرف عن الإسلام ؟

أتدرى ماذا كانت الإجابة ؟

قال أحدهم : إن النبى محمد هو مؤلف (ألف ليلة وليلة) . !!!

أما بالنسبة للإجابة عن السؤال الثانى : (أى الإسلام) ،

فقد قال أحدهم : (إن الإسلام لعبة حظ أشبه بلعبة البريدج) .. !!!

وقال آخر : الإسلام أنشأته عصابة (كوكلوكس كلان) (٢)

وقال ثالث : الإسلام أنشأته منظمة ماسونية أميركية ... !!!

ومنذ عدة سنوات سمع أحد الدارسين المسلمين فى الولايات المتحدة مدرسة تشرح لتلاميذها سبب تحريم شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير عند المسلمين ...

قالت المدرسة :

(إن السبب يرجع إلى أن محمدا - تقصد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - شرب الخمر ذات ليلة ... !!!

وبينما هو عائد إلى بيته يتطوح من شدة السكر ..!!!

نطحه خنزير فطرحه على الأرض .. !!!

---

(١) اسم هذا الكتاب (الإسلام والغرب) .

(٢) عصابة إجرامية تخصصت فى اغتيال السود وغير المسيحيين .

ومنذ تلك الليلة قرر(محمد) تحريم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر .!!!
فقال لها الدارس المسلم :
إن هذه القصة لا أساس لها من الصحة وإن محمدا لم يشرب الخمر أو يأكل الخنزير فى حياته مرة واحدة .. !!!
قالت المدرسة : إننى أسمع هذا لأول مرة ...
فقال لها الباحث :
هل ستعودين لتدريس هذه الخرافة مرة ثانية بعد أن عرفت الحقيقة ؟
قالت : نعم .. لأننى أعيش وأعمل على حساب هذه الخرافة .!!!)

• • •

غير أنى أيقنت بعد تجربة طويلة ، أن الشعوب الأوروبية - رغم ما تتمتع به من رخاء ورفاهية ، وديمقراطية وحرية - أيقنت أن ذاكرة هذه الشعوب ضعيفة بالنسبة لقضايا الإنسان والحرية ، وأنها لا ترى أبعد من مواطىء أقدامها أو مصالحها فى معرض الحوار والمناقشة .. ..

أذكر حين سافرت إلى (كمبردج - CAMBRIDGE) عام ١٩٦٩ م أنى التقيت فى المعهد الذى كنت أدرس فيه بشاب سويسرى يعمل مهندسا ... هذا الشاب المهندس المتخرج فى الجامعة سألنى يوما :

- من أى البلاد أنت .. ؟
- من مصر ..
- مصر ؟ أين هى ؟ !!

وبعد حوار طويل صاح قائلاً :

- آه . مصر التى تحارب إسرائيل .. ؟ ! !

لقد عرفتها الآن .. ؟

لقد صعقت من هول المفاجأة ... مصر التى يعرفها الناس منذ آلاف السنين ، ومصر ذات التاريخ العريق منذ فجر الحضارة ...

وفى كل الكتب المقدسة .. لا يعرف عنها هذا المهندس السويسرى واسمه (كاسبا KASBA) إلا أنها الدولة التى تحارب إسرائيل التى لم يكن مضى على إنشائها فى هذا الوقت عشرون سنة .. ! ! !

ألم أقل إن هؤلاء القوم محدودو الرؤية والبصيرة ...؟؟

وأنهم لا يرون أبعد من مواطىء أقدامهم ومصالحهم فى معرض الحوار والمناقشة ؟ ... ! ! !

حتى فى إسبانيا التى ينحدر معظم أبنائها من صلب المسلمين والعرب سألت فتاة إسبانية سيدة مصرية هذا السؤال :

هل أنت مسلمة أم محمدية ؟

فأجابت السيدة المصرية على سؤال الفتاة الإسبانية بسؤال آخر ...

وما الفرق عندك بين المسلمة والمحمدية ؟

فأجابت الفتاة الإسبانية :أعرف أن (المسلمة) هى التى تعبد الشمس ... أما (المحمدية) فهى التى تعبد محمدا .. ! ! !

وفى نهاية الستينات من هذا القرن ، وفى أول رحلة قمت بها إلى المملكة المتحدة نشرت جريدة (التايمز) الجريدة التى تحظى باحترام وثقة القراء فى جميع أنحاء العالم ، نشرت الصحيفة تقول :

إن المسلمين يعبدون (محمدا) الذى يعتقدون أنه خلق من (فخذ) الرب .. ! ! !

وحين رد المسلمون فى بريطانيا يصححون هذا الاعتقاد الخاطىء رفضت الصحيفة الوقورة تصحيح هذا الخطأ أو نشر هذا الرد ! ! !

لقد كان الكونت (هنرى دى كاسترى)من كبار موظفى الاستعمار الفرنسى فى الجزائر يسير ممتطيا صهوة جواده وخلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء فخورا بمركزه يأمرهم فيلبون ويناديهم فيسمعون ويطيعون .. وفجأة وجدهم يقولون له وفى شىء من الخشونة وفى كثير من الاعتداد بالنفس :

(لقد حان وقت صلاة العصر) .. ! ! !

ودون أن يستأذنوه فى الوقوف ، ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الإسلام الخالدة (الله أكبر ...).

وشعر الكونت بشىء من المهانة فى نفسه وبكثير من الأكبار لهؤلاء الذين لا يبالون به ، بل اتجهوا إلى (الله وحده) بكل كيانهم وبدأ يتساءل : ما الإسلام ... ؟

أهو ذلك الدين الذى تصوره الكنيسة فى صورة بشعة تنفر منها النفس؟ وبدأ يدرس الإسلام ... وتغيرت فكرته عنه .

ورأى من واجبه أن يعلن ما اهتدى إليه فكان كتاب

(الإسلام خواطر وسوانح) (١) .. وفى هذا الكتاب

يفند (الكونت هنرى دى كاسترى) جميع الأكاذيب والمفتريات التى ألصقت بالإسلام على يد رجال الدين ظلما وكذبا ...

• • •

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية - أحمد فتحى زغلول - شقيق سعد باشا زغلول .

ثم ما هذه الضجة عن الأقباط أو المسيحيين فى مصر

ياسيادة الرئيس ؟

هل هى العودة إلى سياسة الأساطيل والبوارج ؟

أم العودة إلى المبدأ الاستعمارى القائل (فرق تسد) ؟ !!! .. أم ماذا تريد الولايات المتحدة ومعها إسرائيل - بالضبط - من مصر ؟!! ..أم هو الخلل الذى أصاب عقول أعضاء الكونجرس بالغرور وقصر النظر ؟

أم هو هذا كله بعد أن أصبحت أميركا هى القوة العظمى الوحيدة فى هذا العالم .. ؟ !!!

إن هذا التوتر لم ينبع من الداخل بل جاء من الغرب الذى شن على المنطقة حملات صليبية وحشية متكررة ولم يرفع يده عنها بعد .. ولايزال الغرب يكيد للمنطقة متذرعا إلى ذلك بشتى الذرائع وفى مقدمتها إثارة الأقليات .

إن السياسة التى اتبعها الغرب خلال ثمانية قرون هى استخدام مسألة الأقليات المسيحية فى الشرق - لإثارة الفتن والقلاقل التى تخدم أغراضه وذلك بخلق جو من الريبة والعداء الدائم بين المسلمين والمسيحيين فى جميع أنحاء العالم .

ويصف المؤرخ (ليدوفيك دى كونتش) هذه السياسة فيقول :

كان الغرب يعمل جاهدا على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين فى نفوس المسيحيين يتلقونها خلفا عن سلف ، ويرضعها الطفل من شعور(إحساس) أمه كما يرضع اللبن من ثديها .. فتسرى فى كيانه مسرى الدم فى عروقه ، وتنشأ عقيدة تقضى على العلاقة بين

المسلم والمسيحى إلى الأبد ... !!!

وفى سبيل هذه الغاية الشريرة حاول الغربيون أن يشوهوا تاريخ التسامح الإسلامى الذى لم تعرف الإنسانية له نظيرا .. متذرعين بحوادث جزئية قام بها بعض العوام والرعاع فى بعض البلاد وبعض الأزمان نتيجة لظروف تحدث فى كل الدنيا ...

وفى هذا يقول (متز) :

(إن أكثر الفتن التى وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر - يعنى فى القرون الأولى - نشأت عن تجبر المتصرفين الأقباط - ولا ننكر أن هناك حكاما ظلموا أهل الذمة أو تشددوا عليهم .. ولكن هذا يعتبر شذوذاً من القاعدة العامة فى التسامح الإسلامى مع غير المسلمين ...

وفى الغالب إن هذا النوع من الحكام يظلم المسلمين - قبل اليهود والنصاري - فإن الظالم لا يقف ظلمه عند مسلم أو غير مسلم ...

بل إن كثيرا من ظلام الحكام كان يرفق بأهل الذمة رعاية لذمتهم على حين كان يقسو على أهل ملته من المسلمين ويحيف عليهم .. بل إننا نجد أن عالما جليلا من علماء المسلمين هو الشيخ أحمد الدرديرى - شيخ الإسلام فى عصره - يذكر عن حكام هذا العصر أنهم كانوا يكرمون أهل الذمة من اليهود والنصارى - أكثر من المسلمين - حتى قال هذا الشيخ الجليل : ياليت هؤلاء الحكام يضربون على المسلمين الجزية كالنصارى واليهود - ويتركوننا بعد ذلك كما تركوهم .. ؟ !

بل إن من أعظم بواعث الاستغراب - كما يقول (جوتيه) فى كتابه - أخلاق المسلمين وعاداتهم - إنه حدث مرتان فى القرن الثالث للهجرة

أن كان من النصارى وزراء حرب .. وكان على القواد - حماة الدين - أن يقبلوا أيدى الوزير وينفذوا أمره ... !

بل هناك ما هو أكثر من هذا ...

ففى عهد الدولة الفاطمية وصل بعض اليهود والنصارى إلى أرقى المناصب المالية والإدارية فى الدولة ، وقد استغل هؤلاء نفوذهم فى الإساءة إلى الإسلام والمسلمين حتى أن امرأة مسلمة كتبت إلى الحاكم المسلم تشكو إليه وتقول : (١) .

(أستحلفك بالذى أعز اليهود بـ منشا) - اسم رجل يهودى - والذى أعز النصارى بـ (ابن نسطورس) - اسم رجل مسيحى - .

والذى أذل المسلمين بك - تقصد الحاكم - !!! ألا قضيت أمرى - أى حاجتى . !!!

ولماذا أذهب بعيدا وقد تحدث فى ذلك غبطة البطريرك شنودة الثالث بابا كنيسة الإسكندرية بما فيه الكفاية وأعلن ذلك صراحة فى خطابه أمام رئيس الجمهورية الذى شارك مواطنيه المسيحيين الاحتفال بمناسبة إنسانية كريمة (٢) .

فماذا قال (الأنبا شنوده) .. !

لقد ذكر فى كلمته أن هذا التسامح والتماذج بين المسلمين والمسيحيين وصل إلى حالة من الوحدة .

---

(١) نقلا عن كتاب (أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى) - دكتور قاسم عبده قاسم -ص٥١-٥٣ - وكتاب (التعصب والتسامح) للشيخ محمد الغزالى .

(٢) بمناسبة وضع حجر الأساس لمستشفى (مار مرقص) .

(،،، وفى التعليم نرى أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان اختار رجلا مسيحيا لكى يؤدب ابنه يزيد . ويزيد اختار كاهنا مسيحيا لكى يؤدب ابنه خالد .. والخليفة عبدالملك بن مروان كان يتخذ يوحنا الدمشقى مستشارا له ... وقد اختار رجلا معلما مشهورا اسمه أطانسيوس لكى يؤدب أخاه عبدالعزيز .

ولما صار عبدالعزيز بن مروان حاكما لمصر أخذ أطانسيوس معه كمستشار له .. نجد أن الأخطل كان من الشعراء المسيحيين المشهورين اندمج فى مجموعة متلازمة مع (جرير والفرزدق) اشتهرت فى العصر الأموى وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالا لعلمه وأدبه كما يروى التاريخ الإسلامى .

نرى فى التاريخ الإسلامى أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية .. نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتى بعده فى الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين :

الأمر الأول : وفاء العهود التى أعطيت لهم ..

والأمر الثانى : قال فيه .. ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون ..

عمر بن الخطاب فى إحدى المرات حينما كان الوليد بن عقبة واليا على بنى تغلب ومن فيهم من النصارى .. لما رأى عمر بن الخطاب أن الوليد بن عقبه هدد هؤلاء الناس وتوعدهم عزله من الولاية حتى لا يلقى بهم شرا ..

وهناك قصة تروى عن عمر بن الخطاب أنه حينما كان خليفة للمسلمين اختلف مع على بن أبى طالب - الذى صار الخليفة الرابع - وكان قد

تخاصم مع رجل يهودى وجاء الاثنان أمام الخليفة عمر فقال عمر لعلى..
يا أبا الحسن : اجلس إلى جوار خصمك لنبحث الأمر فجلس على وقد تأثر قليلا ، وبعد أن قضى بينهما قال عمر لعلى .. هل استأت لأنى أجلستك إلى جوار خصمك ، قال له .. كلا إنما استأت لأنك ناديتنى بكنيتى يا أبا الحسن .. وفى هذا نوع من التعظيم خفت أن يشعر معه هذا اليهودى بأنه لايوجد عدل بين المسلمين . !

ولهذا نرى أن الإمام على بن أبى طالب الذى صار أعظم الخلفاء فى تاريخ الإسلام يعاتب عمر ويقول له .. لم تسو بيننا .. وإنما رفعتنى عنه بأن ناديتنى بكنيتى ..

وهكذا كان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم ... أيا كان مذهبهم ونجد فى التاريخ كثيرا من الخلفاء المسلمين وولاتهم اهتموا بالمسيحيين من كل ناحية .. كان محمد بن طفج الإخشيد يبنى بنفسه الكنائس ويتولى ترميمهما .. وكنيسة أبى سرجة فى مصر القديمة اهتم ببنائها الخلفاء المسلمون وكنيسة أبى سيفين .. وكنيسة القديس ماركريوس بمصر القديمة تولى الاهتمام بها الخليفة العزيز بالله الفاطمى .

ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها فى العهد الفاطمى .. إنما أترك هذا الأمر لعالمين كبيرين من علماء الإسلام هما (المقريزى) فى كتابه (القصص) و(المسعودى) فى كتابه (مروج الذهب) ..

من ناحية الطب الذى بسببه نحن مجتمعون لإنشاء هذا المستشفى نجد أن أول مستشفى فى مصر كان فى عهد أحمد بن طولون من المحبين

للأقباط كثيرا.

وقد اختار مسيحيا لكى يبنى له مسجد أحمد بن طولون واختار مسيحيا لكى يبنى القناطر واختار مسيحيا يبنى كثيرا من منشآته وكان أحمد بن طولون يذهب كثيرا لزيارة دير القصير ، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك والأديرة المصرية كانت دائماً مجالا لالتقاء الخلفاء والولاة كانوا يحبونها ويقضون فيها الكثير من الوقت ويصادقون رهبانها وأساقفتها ، وإن هشام بن عبدالملك ابتنى للبطريرك فى أيامه بيتا إلى جوار قصره وكان يستمع منه إلى صلواته ،وعظاته ، ونسمع أن الخليفة العزيز بالله الفاطمى كان على صداقة كبيرة بالبابا أبرام بن زرعا وبالأنبا ساويرس أسقف الأشمونين .. وكان يدعوهما إلى قصره مع رئيس القضاة يتفاهمون فى الدين معا فى حضرته .

وفى الطب نسمع أن الخليفة معاوية بن أبى سفيان كان له طبيبه الخصوصى وكان نصرانيا .. والخليفة أبو جعفر المنصور كان طبيبه الخاص مسيحيا اسمه جرجس بن بخت يشوع ... وكان جبريل بن يختيشوع طبيبا لهارون الرشيد ...

وكان الخليفة هارون الرشيد يقول للناس من كان منكم له حاجة عندى فليكلم فيها جبرائيل لأنى لا أرد له طلبا .

وكان يوحنا .. مشهورا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل وكان هؤلاء الخلفاء يدعونه إلى موائدهم وما يأكلون شيئا إلا فى حضرته ...

وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء فى العصر الإسلامى حتى قيل عنه أنه أبو قراط عصره وجلينوس دهره ... وحنين بن إسحاق تعلم

كذلك اللغة والفقه الإسلامى على يد الإمام أحمد بن حنبل وعلى يد سيبويه ونبغ فى اللغة العربية نبوغا عظيما وبانتشار اللغة العربية فى مصر التى تعلمها وأتقنها أقباط مصر كانت هذه اللغة مجالا كبيرا للتوحيد بين الناس فكان الأقباط يتكلمون اللغة العربية .

.. وكان المسلمون فى الريف يستخدمون التقويم القبطى فى أمور الفلاحة جميعها .

نرى هذا التعاطف كان موجودا باستمرار ونسمع عن كثيرين من الخلفاء والحكام أنهم تولوا هذه الوحدة الوطنية ورعوها .

عمر بن الخطاب انتهت حياته على الأرض وانتهت مدة خلافته ولكن الخير الذى عمله عمر لم يمت بموته إطلاقا .. ومايزال حيا حتى الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان ... ويحيا مع الناس على مدى الأزمان) .

● ● ●

هذه هى شهادة الحق للإسلام كدين ..

وشهادة العدل للمسلمين كأمة .. يا أعضاء الكونجرس !

وقد يخطر ببالك ياسيادة الرئيس سؤال عن المسلمين فى مصر وهل كانوا مصريين فى الأصل ... أم غزاة قدموا إليها من خارج القطر ؟

– قبل الإجابة عن هذا السؤال .. لابد أن نعود إلى الوراء إلى الأيام الأولى من الفتح الإسلامى لمصر ....

بعد هزيمة الروم .. وخروجهم مطرودين ... وتخليص الشعب المصرى من طغيانهم الذى دام عدة قرون .. استرد الأقباط حرياتهم المفقودة .. واسترجعوا كنائسهم المنهوبة ، وشعروا بالأمان الذى افتقدوه مدة طويلة

وهنا ظهر الفارق جليا بين حكمين .. حكم الرومان لإخوانهم فى الدين وحكم المسلمين للمسيحيين ..

كان أول ما أنجزه القائد عمرو :

إصدار بيان خاص يطالب بعودة البطريرك الذى هرب إلى الصحراء فرارا من الظلم ، وقد جاء فى هذا البيان الذى أصدره عمرو ما يأتى بالنص : (أينما كان بطريرك الأقباط بنيامين .. نعده بالحماية ، والأمان وعهد الله .. فليأت البطريرك ، هنا فى أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته ويرعى أهل ملته) (١) ..

لقد تغير - فى مصر - كل شىء - وابتسمت الحياة بالأمل والعدل .. لم تعد هناك تفرقة من أى نوع ... القانون يطبق على الحاكم والمحكوم دون محاباة ... ابن الأمير لا يتميز بشىء عن الخادم والأجير ...

* لقد استدعى الخليفة عمر بن الخطاب حاكم مصر وابنه للاقتصاص منهما - لمصرى - اعتدى عليه ابن هذا الحاكم .. وقد طلب الخليفة عمر من المصرى أن يضرب الحاكم نفسه لاحتمال أن يكون ولده قد تجرأ على فعلته هذه معتمداً على سلطان أبيه .. !!!

* وقد شكت إليه امرأة مسيحية من سكان مصر أن عمرو بن العاص - أى الحاكم - أدخل دارها فى المسجد كرها عنها .. فيرسل عمر إلى الحاكم يسأله عن الحقيقة فيكتب إليه عمرو :

إن المسلمين كثروا ، وأصبح المسجد يضيق بهم .. ولما كانت دار هذه المرأة بجوار المسجد .. فقد عرضت عليها ثمن هذه الدار .. وضاعفت الثمن ، حتى ترضى ولكنها لم توافق .. فاضطررت إلى هدم الدار

وإدخالها فى المسجد .. واحتفظت لها بقيمة الدار لتأخذها متى شاءت.
فماذا كان جواب الخليفة عمر .. ؟

لقد أمر الحاكم أن يهدم المسجد .. ويعيد إلى المرأة المسيحية دارها كما كانت .. !!!

لقد ذاق المصريون - ولأول مرة - طعم العدالة .. وشعروا لأول مرة - بالأمان والحرية - ورأوا - ولأول مرة - الأمير أو الحاكم شخصا عاديا يخطىء فيحاسب .. فإذا جار أو ظلم عزل وحوكم .. لقد انبهر الناس بهذه العقيدة الجديدة .. فاعتنقوا الإسلام جميعاً ما عدا قلة بقيت على ديانتها القديمة . لم يكن هناك إكراه لأحد .. لقد أسلم الناس جميعا بمحض الاختيار ... وما كاد ينتهى القرن الأول حتى دخل أكثر الناس أفواجا فى دين الله ..

بل إن حاكما مسلما حاول إيقاف هذا المد الإسلامى حتى لا تفلس خزينة الدولة التى كانت تعتمد على الجزية والخراج .. حاول هذا الحاكم المسلم منع الناس من اعتناق الإسلام خوفا من الإفلاس .. فكتب إليه الخليفة وكان - عمر بن عبدالعزيز - كتب إليه قائلاً :

إنما بعث الله محمدا هاديا .. ولم يبعثه جابيا ..

إن مسلمى مصر مصريون أقحاح .. من أحفاد .. تحتمس .. وإخناتون ونفرتيتى التى يضرب بها المثل فى الفتنة والجمال .. !!!

أجدادهم .. أجداد مسلمى مصر .. هم الذين بنوا الأهرام .. وسكنوا (طيبة) و (منف) .. (وقفط) التى اشتقت منها كلمة (قبط) و(أقباط)

وحرف اسمها لتعرف فى اللغة الإنجليزية باسم (EGYPT) (إيجبت).
كلنا أقباط .. مسلمون ومسيحيون .. الأصول واحدة .. لكل المصريين وإن اختلفوا فى العقيدة والدين ...

• • •

ياسيادة الرئيس :

منذ أعوام سافرت إلى مدينة مصرية شهيرة اسمها (طنطا) للاشتراك فى ندوة عن المسيحية والإسلام .. وكان المتحدثان الرئيسيان فى هذه الندوة هما : الشيخ الدكتور عبدالجليل شلبى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ومطران الغربية الأنبا يؤانس .

لقد تكلم الشيخ والمطران بإفاضة .. وعلت الهتافات مجلجلة باسم الوحدة الوطنية ..

كنت أجلس فى هذا الوقت بين مجموعة من الرهبان والقسس الأب (متى) والأب (ميخائيل) والأب (تادرس) .

وحين جاء دورى فى الكلام .. قلت محتجا : أنا أرفض الهتاف باسم (الوحدة الوطنية) .. إن (الوحدة) تعنى الاتفاق أو الامتزاج بين عنصرين مختلفين أصلا ... ونشأة ... وقد تم خلطهما بطريقة كيميائية مصطنعة ... !

وفى عالمنا المعاصر تعنى هذه الوحدة الاتحاد بين شعبين تفصل بينهما مسافات نفسية وعرقية .. ولكنهما لمصلحة خاصة قد اتحدا حرصا علي

هذه المصلحة .

أما بالنسبة لمسلمى مصر . ومسيحيى مصر فالأمر عكس ذلك كله .. كيف توحد بين شقيقين أبناء أب واحد .. وأبناء أم واحدة ، إن هذا تحصيل حاصل كما يقول الفلاسفة ... ثم قلت موضحا ..

إن أى واحد منا لا يحفظ من أسماء آبائه وأجداده أكثر من خمسة : أبوه جده .. وجد أبيه ، ثم والد هذا الجد .. ثم اسم العائلة الذى ينسب عادة إلى اسم الجد الأكبر لهذه العائلة ... ثم قلت :

هل هنا أحد من الحاضرين يعرف من أسماء أجداده أكثر من ذلك .. ؟

- لا أحد يعرف ...

ثم التفت إلى القساوسة الذين يجلسون بجوارى مداعبا لهم :

- أليس من الجائز يا أب (متى) ويا أب ميخائيل ويا أب تادرس .

أن يكون الجد السادس أو السابع هو جدى وجدك ؟

إننا جميعا إخوة .. وفروع لشجرة واحدة .. وإذا كان ولابد من الهتاف.. فليكن لهذه الأخوة .. وللأم .. أو (مصر) .. تلك الشجرة المباركة التى تؤتى أكلها ، إخاء ومحبة ..

لقد زارنى - فى مكتبى - مستشار ثقافى لإحدى الدول الكبرى .. وفى معرض الحديث عن الحرية الدينية للأقباط فى مصر قلت له :

- أى أقباط تعنى ... ؟

- قال الأقباط ... ؟

– قلت له : الأقباط قسمان ... أغلبية مسلمة .. وأقلية مسيحية . !

– ماذا تقول ... ؟

– أقول الحقيقة ..

ثم قلت له : فى سفارتكم موظفون من كلتا الطائفتين .. حللوا فصيلة الدم طبقوا كل وسائل العلم .. هاتوا علماء الوراثة .. واختاروا نموذجين من أية مدينة أو قرية .. لن تجدوا فارقا فى النهاية بين مسيحى ومسلم أو بين مصرى .. ومصرى .. !

• • •

لقد كتب أحد الإخوة المسيحيين المصريين رسالة إلى مجلة إسلامية مصرية يؤكد فيها هذا (الأصل .. أصل المسلمين والمسيحيين فى مصر.. يقول الدكتور (فيليب رفله) (١) ..

إنه مما لا يعرفه الكثيرون فى خصوص وحدة الأصل للمسلمين والأقباط فى مصر أنه أجريت أبحاث على دماء كل منهما فى القرى والمدن وفى الصعيد وفى الوجه البحرى .. فوجد التماثل والتشابه الكبير بين فصائل الدم فى كل من الأقباط والمسلمين المصريين .

وهذا التوافق الكبير بين فصائل (فئات) الدم بين المصريين ... مسلمين وأقباط لم يتأيد بمثله بين العرب فى بلاد أخرى ... فقد وجد الباحث ، فى لبنان اختلافا فى فصائل (فئات) الدم بين العرب

(١) نقلا عن مجلة (الاعتصام) الإسلامية القاهرية .

المسلمين والعرب المسيحين الذين يعيشون فى نفس البيئة ، ويتكلمون لغة واحدة ، ولهم نفس العادات والتقاليد .

وهذا التشابه الكبير الذى يدل على وحدة الأصل يدعمه التاريخ وأحداثه المعروفة من أن (عمرو بن العاص) دخل مصر غازيا بأربعة آلاف ، وجاءه المدد وفيه (الزبير بن العوام) و (المقداد بن الأسود) بأربعة آلاف أخرى ثم إن دخول العرب مصر لم يكن بالملايين .. بل بالآلاف .. أما الذى دخل فى الإسلام بالملايين فهم الأقباط .. أى أن معظم المسلمين فى مصر أصلهم أقباط .. !

لقد أرسل البطريرك (بنيامين) إلى الأقباط .. وكان مختبأ من اضطهاد البزنطيين بمساعدة العرب حتى قيل إن البطرك بنيامين يعتبر البطل الثانى للفتح العربى لمصر بعد عمرو بن العاص لمساعدة الأقباط على الجدية فى فتح مصر .. ثم كان تسامح العرب .. وكان المسلمون يعيدون الأعياد مع الأقباط لقرب عهدهم بالمسيحية ...

وهكذا عاش الأقباط وإخوانهم المسلمون فى مودة وتعاون .. قبور أجدادهم متجاورة ... ومساكن الأحياء ... أبناء وأحفاد متجاورة .. أصل واحد ، وتاريخ واحد ، ووطن واحد ، وتقاليد لا تزال كما كانت قبل الإسلام والمسيحية .

وقد ساعد الأقباط إخوانهم المسلمين فى حروبهم ضد الصليبيين ، وهذا حق وتصرف سليم .. وقد منع الصليبيون الأقباط من زيارة بيت المقدس

لهذا السبب ...

كذلك لا شأن لنا نحن الأقباط بسياسة الدولة ، بمعنى ألا يتدخل الأقباط من الناحية الدينية فى سياسة الدولة ، فلا يتدخل الدين المسيحى فى سياسة الدولة فما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ولم يكن هناك أية ذرة من سلامة الفكر أو الوطنية ، أن يتظاهر هؤلاء - المأفونون فى خارج مصر .. فلا استعداء لغير المصرى على المصرى .. فالشأن كل الشأن لنا نحن مع بعضنا هنا فى مصر ... فالمصرى المسلم أحن على القبطى من أى مخلوق على سطح الأرض .. لأنهم أقرب الخلق للأقباط .. ولذا كان من الخطأ الكبير أن يتظاهر هؤلاء الشبان فى الولايات المتحدة فهذه إساءة لنا جميعا .. وأى قبطى يقبل هذا خائن لوطنه .. إن المصريين مسلمين وأقباطا .. يتدبرون أمورهم بأنفسهم .. فالوطن عزيز فقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد .. المصريون أيا كانوا أعزاء .

إن الدين المسيحى بعيد عن أمور الدنيا والدولة .. فلا يتخذ الدين وسيلة لتحقيق أغراض دنيوية .. فقد طلب أخ من السيد المسيح أن يجعل أخاه يقاسمه الميراث فقال له المسيح عليه السلام (من جعلنى عليكما قاضيا ؟) .

والمسيحية تجعل الرحمة والتسامح فوق العقوبة والقسوة ..) من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر) ...

ورفض السيد المسيح أن يهلك قرية رفضت دخوله إليها .. ومن تعاليم المسيحية إطاعة الرؤساء ، والدعاء لله أن يوفقهم فى أعمالهم .. وذلك فى صلواتهم .. ولا تقبل المسيحية مطلقا العمل ضد الرؤساء .. ولذا كان كل ما قرأته فى إحدى المجلات الإسلامية من أن هناك تفكيرا أو بيانات من الأقباط تبغى الصلاة فى بدء المحاضرات أو إنشاء جامعة قبطية ، أو غير ذلك ... إنما يتنافى مع تعاليم الدين المسيحى .. فلا يعقل أن يفكر أحد فى إخراج أحد من وطنه .. فنحن العرب لم نستطع أن نخرج ٣ ملايين يهودى من فلسطين ونحن المصريين سنعيش أبد الدهر متعاونين إن كنا من العاقلين .

ولا يهمنا نحن الأقباط أن يكون لنا وزير أو أكثر .. فهذا لا يفيدنا فى شىء .. فالوزير موظف بالدولة يأتمر بأمر رئيس الدولة ، ويعمل لمصلحة الوطن جميعه بكل فئاته ...

• • •

ياسيادة الرئيس :

إن هذا هو صوت مصر الحقيقى كما عبر عنه الدكتور (فليب رفله) : صوت المسلم المصرى ، والمسيحى المصرى .. لا تلك الأصوات التى فتلت حبالها بعقد الكراهية ، ودرب أصحابها على الحقد والتآمر فى أوكار الخيانة .

---

(١) صفحة ٢٦٥ وما بعدها – بتصرف .

فى كتاب (شخصية مصر (١) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد :

(.. إن المثقفين من المسلمين والأقباط يعلمون بالدراسة والوعى التاريخى أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الإسلام بعد ذلك ...

وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت إليها كما لم يفعل أحد .. نشرت مصر الإسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد ...

والقائلون من الأقباط بأن المسلمين المصريين دخلاء ظنا منهم بسذاجة أن هذا يتيح لهم أن ينفردوا بمجد القدماء أو بشرف الانتساب إلى مصر .. لهؤلاء أقول : هل يشرفهم أن يكون الدخلاء - كما يقولون - يشكلون أغلبيته والأصلاء هم الأقلية ؟

أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فإن كل فضل للأغلبية أو للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلا واحدا يكمل بعضه بعضا ، أمنا مصر ، وأبونا النيل ، وبينهما يتفاوت الإخوة وقد يختلفون ولكن عندها يلتقون وإليها ينتسبون .. وكيف يجوز فى الفهم أن يزيح الفاتحون أهل البلاد ، لاسيما إذا كان أهل البلاد أقدم تاريخا وحضارة ... ؟

إن جيش الفتح الإسلامى فى قول كان أربعة آلاف . وفى قول ثمانية آلاف ، وفى قول ثالث بعد الإمدادات إثنى عشر ألفا .. ويمتد آخرون بالإمدادات إلى ثلاثين ألفا ...

وأهل البلاد - أهل مصر - فى قول ، ثمانية ملايين ، وفى قول عشرة ملايين وفى قول اثنا عشر مليونا ...

فلو أخذنا بأكثر الأعداد بالنسبة للفاتحين ، وبأقل الأعداد بالنسبة للأصليين ....

هل من المعقول .. أو حتى من اللامعقول أن ثلاثين ألفا يضاف إليهم من لحق من قبائلهم ولو كانوا أضعافا أن يمسحوا بلدا وأي بلد.. ؟

بلدا كمصر ويصيروا هم أصحابه وأغلبيته ؟ ! !

• • •

لقد نشأت فى قرية ريفية .. تسعة وتسعون فى المائة من سكانها كانوا مسلمين بالطبع ...

إننى لا أزال أذكر وبالرغم من مضى حوالى ستين عاما على مغادرتى هذه القرية .. لا أزال أذكر هذه العلاقات الحميمة التى كانت قائمة بين النصارى والمسلمين فى هذه القرية ، وكيف كان المسلمون يسعون هؤلاء النصارى حبا وسماحة ... بل كيف كانت العائلات الكبرى تتطوع بحماية هؤلاء النصارى من أى سوء يتعرضون له من أية جهة .

وقد بدأت التعرف على رجال الكنيسة القبطية - فى مرحلة مبكرة من مراحل تعليمى فى القاهرة ، لم أكن أشعر تجاه هؤلاء القسس والكهنة بأى لون من ألوان الكراهية .

كنا نتحدث دائما كأبناء أسرة واحدة ، وفى قضايا وطنية عامة .. ثم تتطور هذه الأحاديث لتشمل شئون عائلاتنا الخاصة ..

ولأول مرة فى حياتى تعرفت على إنجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ،

ويوحنا ولا يزال مكتبى حتى هذا اليوم يحتفظ بالعديد من طبعات هذه الأناجيل المختلفة ، وباللغتين العربية والإنجليزية .

وفى أوائل الخمسينات من هذا القرن ، وحين كنت طالبا فى كلية أصول الدين بالأزهر كان مبنى هذه الكلية يقع فى حى شبرا ، وعلى بعد مائتى متر منه توجد كنيسة تحمل اسم (سانت تريزا) ...

لقد ذهبت ومعى عشرون طالبا لزيارة هذه الكنيسة .. ففوجىء الكهنة والرهبان بهذه الزيارة وارتسمت على وجوههم الدهشة من هذه المفاجأة ، وارتسمت علامة استفهام ضخمة شملت المكان كله من المذبح حتى برج الكنيسة .. !

غير أنى شرحت لهم قصة قدومنا ببساطة ..

قلت لهم : إنكم جيراننا ، وللجار حق مقدس ، ثم إنكم ضيوف فى بلدنا وللضيف حق مؤكد وإكرام الجار والضيف من السنن التى أكد عليها النبى محمد..!!!

فإذا كان الله محبة كما تقولون ، فإن هذه المحبة - تمثل فى الإسلام أعلى درجات الإيمان والتقوى عند كل مسلم ... (١) .

وحين سافرت إلى بريطانيا للدراسة ، وللتحضير لدرجة الدكتوراة اخترت إقامتى فى مدينة كمبردج ، وهو اختيار شارك فى تكوينه وجود بعض الإخوة من المسلمين والعرب ، كما ساعد فى تكوينه عاطفة

(١) انظر كتاب (رسالة إلى البابا) للمؤلف نشر دار المختار الإسلامى- القاهرة .

إسلامية تجمع بين الباحثين والدارسين فى جامعة كمبردج (CAMBRIDGE) كنا نصلى الجمعة فى كنيسة صغيرة اسمها (فيشر هاوس) (FISHER HOUSE) وكان الطلاب والدارسون يذهبون لجمع الصلبان والتماثيل - قبل الصلاة - بوقت كاف .. حتى إذا انتهت الخطبة ، وفرغ المصلون من صلاة الجمعة ..

أعيد كل شئ إلى ما كان عليه ، وطوى الحصير والبسط فى انتظار (جمعة) أخرى حتى نعود إليه ... !

لم أشعر فى حياتى بأى نوع من الكراهية تجاه أحد ... قلبى مفتوح لكل البشر ، والسماحة التى علمنيها الإسلام تفتح أبواب الحوار والنقاش لكل من يخالفنى الرأى كما أن طبيعتى ترفض العنف وتكره لون الدم .

لم أنس حتى هذا اليوم قصة جارى (حنا) الذى ذهبت إليه أهنئه بعيد الفصح .

فجأة دخل علينا قس .. ظننت فى بادئ الأمر أنه حضر للتهنئة ، فإذا به يدخل مع جارى فى معركة حادة ! .. ولم أعرف سبب هذه المعركة .. ولم أحاول التدخل لفض هذا الاشتباك الذى حدث فجأة !

وبعد أن هدأت ثورة (القس) وجه كلامه أو تهديده إلى جارى قائلاً : هذه آخر مرة تتخلف فيها عن الكنيسة .. ! وقد جئت بنفسى لأحذرك حتى لا تفعل ذلك مرة ثانية .. !

لقد شعر (جارى) بالحرج الذى أوقعه فيه هذا (القس) غير أنى أنقذت الموقف بتلاوتى عليه بعض آيات الكتاب المقدس .. !

ثم أتبعت هذه الآيات بوصايا القديسين التي تحض على ضرورة الذهاب إلى قداس يوم الأحد .. !!

لقد انبهر (القس) بما قلت .. ثم قال بعد فترة قصيرة من الصمت : إنك ابن مبارك ! لكن لماذا لا تأتى إلى الكنيسة يوم الأحد .. !! وهنا انفجر جارى (حنا) من شدة الضحك ، ثم قال موجها كلامه إلى القس حاسب (يا ابونا) إن فلان هذا جارى المسلم ، ويعمل سكرتيرا لشيخ الأزهر (١) !!!

يذكر لنا المؤرخ (لودفيج) فى كتابه (النيل حياة نهر) كيف استقبل أقباط مصر الجيش الإسلامى- بقيادة عمرو بن العاص-استقبال المنقذين لا استقبال الغزاة الفاتحين وكيف كان ترحيبهم بالغا حد الحماسة (٢) .

ويقول لودفيج : إنه ما عدا فرض الجزية على المسيحى فإن عمرا لم يفرق فى المعاملة بين المسلمين والمسيحيين ، بل إنه أعلن حمايته لحرية الأديان جميعا ، ولإقامة شعائرها وكفل المساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين على السواء ، مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم بما فى ذلك وظائف الدولة ، بغض النظر عن الجنس أو الدين .

---

(١) كنت فى بداية أعمالى الوظيفية سكرتيرا فنيا للأمام الأكبرالمرحوم الشيخ محمود شلتوت .

(٢) مجلة الدوحة - ديسمبر ١٩٨٥ م - د / يوسف القرضاوى .

يقول جيروم وجان تارو :

إن فضيلة التسامح التى كانت أزهى السمات الخلقية فى العرب ، والتى ندر أن تتوافر لغيرهم فى جميع الأزمان ، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيرا ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطرى وذوقهم الفنى ونزعاتهم : لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح .

يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون) فى كتابه (حضارة العرب) متحدثا عن عدل الفاتحين المسلمين وسماحتهم .

(كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم ، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره فى العالم .. ولكن العرب اجتنبوا ذلك فقد أدرك الخلفاء السابقون - الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة - أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسرا فعاملوا - كما رأينا - أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم ، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقا فى مقابل حفظ الأمن بينهم ، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا سمحا مثل دينهم) وينقل عن جوتييه فى كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم) .

لقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا على غاية فضيلة المسامحة التى

لم تكن تتوقع من أناس يحملون دينا جديداً ، وما فكر العربى قط فى أشد أدوار تحمسه لدينه الجديد أن يطفىء بالدماء دينا منافسا لدينه ، وقد جاءنا العالم (متز) فى باب التسامح الإسلامى بتفاصيل أشد غرابة من هذه .

قال : إن أعظم بواعث الاستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأسر فى الدول الإسلامية - وقد شوهد المسلم فى بلاده يحكم عليه النصارى ، وحدث ذلك مرتين فى القرن الثالث للهجرة أن كان من النصارى وزراء حرب ، وكان على القواد - حماة الدين - أن يقبلوا أيدى الوزير وينفذوا أمره ، هذا والدواوين غاصة بالكتاب من النصارى) .

ولم يكن التسامح مقصورا على عهد الراشدين أو المسلمين الأولين أو جنس العرب كما يظن ذلك بعض الناس ، بل بقى هذا التسامح صفة أصيلة ملازمة للمجتمع المسلم ، وللحكم الإسلامى فى كل عصر وفى كل مكان ، أيا كان الحاكمون وكان المحكومون ، حتى فى أشد العصور اشتهارا بالعصبية الدينية ، بل كانت الدولة الإسلامية هى الملاذ الذى يلجأ إليه المضطهدون من أى دين ، فيجدون فيها التسامح والأمان والاطمئنان .

يقول توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) :

(وحدث أن هرب اليهود الإسبانيون المضطهدون فى جموع هائلة ، فلم يلجأوا إلا إلى تركيا فى نهاية القرن الخامس عشر) ... !! ؟

ويقول أيضاً (حتى إيطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى التركى لعلهم يحظون كما حظى رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بهما فى ظل أى حكومة) .. !!!

ويقول (ريتشارد ستيبز) من أبناء القرن السادس عشر :

(على الرغم من أن الأتراك بوجه عام شعب من أشرس الشعوب .. فقد سمحوا للمسيحيين جميعاً للإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة فى القسطنطينية وفى أماكن أخرى كثيرة جدا ، على حين أستطيع أن أؤكد بحق - بدليل اثنى عشر عاما قضيتها فى إسبانيا - أننا لا نرغم على مشاهدة حفلاتهم البابوية فحسب ، بل إننا فى خطر على حياتنا وأحفادنا .

وهذا ما جعل بطريرك أنطاكية واسمه مكاريوس يقول : أدام الله دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء كان رعاياهم مسيحيين أو يهودا أو سامره . ؟ !!

والعجيب أن يتم هذا التسامح فى الوقت الذى كان المسلمون يبادون من الأندلس بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون ينشرون العلم والحضارة ويهدون أوروبا إلى طريق النور فى زمن لم تكن ترى فيه الضوء إلا من مثل سم الخياط ، وظل هذا التسامح ساريا فى كل الديار الإسلامية ومع كل الطوائف والأقليات ما دام الشرع الإسلامى هو الذى يحكم ويسود .

حتى اليهود الذين يتصرفون كثيرا تصرفات تثير مواطنيهم عليهم وتوقد شعلة الكراهية لهم ، وخاصة حين يدبرون المكايد خفية أو ينشرون الفساد جهرة ... حتى هؤلاء اليهود عاشوا فى المجتمع الإسلامى آمن ما يكونون على أنفسهم ومعابدهم وأعراضهم وأموالهم التى لم يتورعوا عن استخدامها فى الربا المحرم عند المسلمين . ؟ !!

وأكتفى هنا بذكر وثيقة تاريخية تبين لنا كيف كان يعامل الحكم الإسلامى الأقليات ولو كانت يهودية .

وهذه الوثيقة هى نص الفرمان (الظهير) الذى نشره السلطان محمد بن عبدالله سلطان المغرب فى ٥ فبراير سنة ١٨٦٤ م :

تقول هذه الوثيقة :

(بسم الله الرحمن الرحيم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، نأمر من يقف على كتابنا هذا من سائر خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر أيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم فى الأحكام ، حتى لا يلحق أحدهم منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام وألا يعتدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا فى أنفسهم ولا فى أموالهم ، وألا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ونحن لا نوافق عليه : لا فى حقهم ولا فى حق غيرهم ، ولا نرضاه لأن

الناس كلهم عندنا فى الحق سواء ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فإنا نعاقبه بحول الله ، وهذا الأمر الذى قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ، ومعروفا ومحررا ، لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيدا ووعيدا فى حق من يريد ظلمهم .

صدر به أمرنا المعتز بالله فى السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ١٢٨٠ ثمانين ومائتين وألف) .

وكفى بهذه الوثيقة وحدها ردا على الأفاكين الذين يثيرون العجاج ويفتعلون الضجيج ، بغير مسوغ ولا برهان (١) .

ياسيادة الرئيس :

فى كتاب (الجزائر الثائرة) الذى ألفه الفرنسيان (كوليت) و (جان جونسون) يقول هذان المؤلفان (٢) .

كان العبث بالدين الإسلامى هو المجال المفضل للقائد (روفيجو) ... فقد وقف هذا القائد الفاجر ، ونادى بين بنى قومه بأنه يلزمه أجمل مسجد فى المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين ! ! وطلب من أعوانه ذلك فى أقصر وقت ممكن وأشار لهم إلى جامع القشاوة لأنه ، كما قال ، أجمل جوامع الجزائر طرا ، وهو فى وسط المدينة وفى قلب الحى الأوروبى فضلا عن أن أفنيته تؤدى إلى مداخل السراى .

---

(١) د / يوسف القرضاوى - مجلة الدوحة - ديسمبر ١٩٨٥ م .

(٢) ص ٤٠ وما بعدها .

وبالفعل .. تحدد ظهر يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٢ لإنجاز هذا العمل وتحقيق هذه الرغبة ، ففى الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبتها للعمل فى ميدان السودان ، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفئوس ، وإذ - بداخل المسجد أربعة آلاف مسلم اعتصموا كلهم خلف المتاريس ، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ، ودحرتهم بالسناكى ، فخروا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود ، واستمرت العملية طوال الليل حتى إذا كان الصباح كانت النظم قد تمت ، والقرارات قد صدرت ،وصار الجامع (كاتدرائية الجزاير) .

وما أن انتهى الجنود من هذا حتى داروا على أعقابهم صوب مسجد (القصبة) الغنى بذكريات الإسلام وأيامه المجيدة ، فدخله القواد والضباط والجنود ، وأقاموا فيه شعائرهم الدينية حتى إذا انتهى القداس شرع القساوسة فى تمجيد (إله الجيوش) وترتيل (نشيد الغفران) !

ولعمر الحق ، اذا ساغ للجنود الجهلة أو لضباطهم العابثين بأن يأتوا مثل هذه الأفعال ... فكيف يسوغ للقس سوشيه وهو الوكيل العام لأسقف الجزائر أن ينضم إليهم ، ويتزعم طابورهم .. ؟ !

فقد وضع هذا القس عام ١٨٣٩ كتابا أسماه (رسائل مفيدة ومشوقة عن الجزائر) وجه فيه الكلام إلى عاهل فرنسا فقال :(إن مسيو فاليه رجل عميق التفكير ، ذو ضمير حى ، ولا تنقصه الحيلة) .

إنه يحكم الجزائر كأكثر الملوك إطلاقا فى الحكم .

إنه الرجل الذى ليس للمستعمرة غنى عنه .

إنه يرغب فى أن يستتب الدين المسيحى وأن يحترمه الجميع .

إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس فى الجزائر .

إن مولاى ليستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه الذى اختار أجمل مسجد فى قسنطينية ليجعل منه أجمل كنيسة فى المستعمرة) . !!!

وقد وقع الاختيار على القس سوشيه ليكون راعيا لهذه الكنيسة التى كانت مسجدا ، وما أن أطلقت يداه ليعد لنفسه منبرا للوعظ فيها حتى استولى على منبر الرسول محمد ، أتى به من مسجد يقال له (المقدس)

وهو آية فى فن النقش العربى ، وعلى هذا المنبر النفيس وقف سكرتير الحاكم (بوجو) ليقول : (إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك فى أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أى حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا أذا أصبحوا مسيحيين جميعاً .. !!) .

هذه هى فرنسا التى رفعت شعار الإخاء والمساواة والحرية .. فرنسا .. باريس .. عاصمة النور كما كان يطلق عليها فى النصف الأول من هذا القرن ، والتى اقتحم ثوارها سجن الباستيل فهدموه فى طرفة عين ..

إن إيطاليا كانت تحمل الأسير المسلم فى الطائرة ثم يسأل - من نبيك؟

فإذا قال : محمد ، ألقى به من الطائرة بعد أن يقال له : - ليأت محمد ويخلصك !!!

إننى كما قلت لا أريد نبش القبور ... ولا فتح الملفات ...

فتاريخ الغرب وشعوبه مع الإسلام يسود وجه الشمس ، وإذا كان (القرآن) يقرر بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى) ، فنحن كمسلمين نرحب بنسيان جرائم الآباء وابتداء صفحة جديدة من اليوم ..

هل نسينا أنه لم يترك مسلم واحد حيا ، ولا مسجد واحد قائما فى اليونان فى أعقاب الانقلاب الذى وقع عام ١٨٢١ .. حيث قتل من المسلمين ثلاثمائة ألف بمن فيهم من الشيوخ والنساء والأطفال ؟

هل نسى هؤلاء أن المسلمين كانوا أغلبية فى دول البلقان ثم تحولوا بعد ذلك إلى أقلية بسبب التعذيب والإرهاب والقتل ؟

أفلا يتذكر هؤلاء كيف عاش غير المسلمين فى كنف الإسلام ، وكيف شاركوا المسلمين فى الإدارة والحكم والسلطان حتى إذا سقط علم الخلافة وأتيحت لهم الفرصة استباحوا دم المسلم وعرضه أو يترك الإسلام ؟

وهل نسيت ياسيادة الرئيس ما حدث فى البوسنة . إن المأساة تتكرر من جديد فى (كوسوفو) .. كما سوف تتكرر فى أماكن أخرى فى آسيا وإفريقيا ، وأوروبا .

وأسألك ياسيادة الرئيس :

هل توجد عدالة فى أوروبا وأميركا ؟

إن وزارة العدل فى بلادكم رفضت تسليم بعض القتلة من منظمة (الجيش الجمهورى الأيرلندى) إلى بريطانيا لأنهم - مجاهدون - فى نظر

هذه الوزارة . !

وقصة السائق الزنجى فى (لوس أنجليس) (١) ؟

إنك تعرف قصة محاكمته جيدا . وكيف أدين القضاء العنصرى بسبب حادثة هذا السائق ...

والمربية (البريطانية) التى حكم عليها بالسجن مدى الحياة ؟ لقد أعيدت محاكمتها مرة ثانية بسبب هذه الفوضى وهذا الخلل . ؟

إن (جون ميجور) رئيس وزراء بريطانيا السابق تدخل لدى حكومة (تايلاند) للإفراج عن امرأتين بريطانيتين كانتا تقومان بالاتجار فى (الهروين) !

و (تونى بلير) هدد بقطع العلاقات مع (السعودية) إن لم تفرج عن أنجليزيتين أدينتا بقتل ممرضه استرالية مع سبق الإصرار والتعمد !

أما القانون فى الدولة الإسلامية فلا يفرق بين مسلم وغير مسلم .

وقد حدث فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) أن سرق رجل مسلم درعا من بيت رجل مسلم ، ثم ذهب السارق بهذه الدرع وأخفاها فى بيت رجل (يهودى) ، وعندما اكتشفت الجريمة حاول المسلم السارق التنصل من التهمة وإلصاقها باليهودى الذى لم يكن يعرف شيئاً عن السرقة ... ثم شهد أقارب السارق معه ضد اليهودى ، ورفع الأمر إلى النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ...

إن التهمة ثابتة على اليهودى .. والشهود كلهم ضده .. وأى قاض

---

(١) وفى شهر يونيو ١٩٩٨ وقعت مأساة أبشع حين ربط رجلان أبيضان رجلا زنجيا فى مؤخرة سيارتهما ، ثم انطلقت السيارة بسرعة فوق طريق صخرى حتى تلاشت جثة الرجل الزنجى ! .

لابد أن يصدر حكمه بالإدانة ، وتنفيذ العقوبة .

ولكن الوحى ينزل من السماء .. فينفى عن اليهودى تهمة السرقة ، ويدين السارق والشهود بالخيانة .. ويسجل القرآن الكريم هذه الواقعة لتبقى دستورا خالدا إلى يوم القيامة :

(ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) (١) .

• • •

ماذا تقول ياسيادة الرئيس عندما تسمع هذه القصة .. قصة امرأة عادية من عامة الناس ذهبت إلى قاضى الكوفة ، تشكو إليه أمير الكوفة وحاكمها فى ذلك الوقت ، لقد أردت برواية هذه القصة إشاعة البهجة والتخفيف من (حدة) الحوار الذى تحول إلى (مبارزة) وإن كانت بغير سيف من جانبى على الأقل . !

تقول هذه القصة : إن امرأة من (الكوفة) ذهبت إلى قاضى المدينة وكان اسمه (شريك) فقالت (٢)

- أنا بالله ثم بالقاضى .

- فقال لها القاضى : من ظلمك ؟

قالت الأمير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين ، كان لى بستان

---

(١) سورة النساء آية ١١٢ و١١٣ .

(٢) نقلا من كتاب (من أقباس الحق) للعلامة الشيخ مصطفى الطير.

على شاطىء الفرات ، فيه نخل ورثته عن أبى ، وقاسمت إخوتى وبنيت حائطا ، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتى وساومنى ورغبنى فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة ، بعث بخمسمائة غلام وفاعل ، فاقتلعوا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئاً ، واختلط بنخل إخوتى ، فقال: يا غلام : أحضر طينة ، فأحضرها ، فختمها وقال للمرأة : امضى بها إلى بابه حتى يحضر معك ، فجاءت المرأة بالطينة المختومة ، فأخذها الحاجب ودخل بها على موسى بن عيسى فقال : قد أعدى القاضى عليك (١) وهذا ختمه ، فقال : ادع لى صاحب الشرطة فدعا به ، فقال :

أمضى إلى شريك وقل له يا سبحان الله . ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح ، أعديتها على - أى أعنتها ونصرتها على - قال صاحب الشرطة :

إن رأى الأمير أن يعفينى من ذلك ، فقال : امض ويلك ، فخرج وقال لغلمانه : اذهبوا واحملوا إلى حبس القاضى بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة إليه . !!!

ثم مضى إلى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة ، فقال لغلام المجلس : خذ بيده فضعه فى الحبس ، فقال صاحب الشرطة : (والله قد علمت أنك تحبسنى ، فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس) . ؟ !

وبلغ موسى بن عيسى الخبر ، فوجه الحاجب إليه ، وقال له :

رسول أدى رسالة فأى شئ عليه ؟ فقال شريك : اذهبوا به إلى رفيقه

(١) أى استعين به عليك .

فى الحبس ، فحبس .!

فلما صلى الأمير موسى صلاة العصر ، بعث إلى إسحق بن الصباح الأشعثى وإلى جماعة من وجوه الكوفة أصدقاء القاضى شريك وقال لهم: أبلغوه السلام ، وأعلموه أنه استخف بى ، وأنا لست كالعامة ، فمضوا إليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم قال لهم : مالى أراكم جئتمونى فى غبرة من الناس فكلمتمونى (١) من هنا من فتيان الحى ؟

فأجابه جماعة من الفتيان ، فقال :

ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل منهم فيذهب به إلى الحبس ، ما أنتم إلا فتنة وجزاؤكم الحبس ، قالوا له : أجاد أنت ؟ ، قال : حقا حتى لا تعودوا لرسالة ظالم .. فحبسهم ، فركب موسى بن عيسى فى الليلة إلى باب السجن ، وفتحه وأخرجهم كلهم .

فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء ، جاء السجان فأخبره ، فدعا بالقمطر (٢) ووجه به إلى منزله ، وقال لغلامه :

الحق بنقلى (٣) إلى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز حين تقلدناه منهم ، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد .

وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب فى موكبه فلحقه ، وجعل يناشده

(١) الغبرة بضم الغين لون الغبار ، أى مالكم جئتمونى من أجل جماعة فى لون الغبار لإعانة الظالم .

(٢) القمطر بوزن هزبر - ما يصان فيه الكتب .

(٣) أى بمتاعى .

الله ويقول : (يا أبا عبدالله : تثبت ، أنظر ، إخوانك تحبسهم ؟

قال : نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلي السجن ، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدى ، فأستعفيه مما قلدنى .

فأمر موسى بردهم جميعا إلى السجن وهو واقف والله مكانه ، حتى جاء السجان فقال : قد رجعوا جميعا إلى الحبس .

فقال لأعوانه ، خذوا بلجام دابته بين يدى إلى مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى دخل المسجد ، وجلس مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى : - وهو مع المرأة بين يديه - أنا قد حضرت ، وأولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك : أما الآن فنعم ، أخرجوهم من الحبس .

فقال : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ، قال : صدقت ، قال فترد ما أخذت منها ، وتبنى حائطها سريعا كما كان ، قال : أفعل ذلك ، قال شريك للمرأة : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت لا ، وبارك الله عليك وجزاك خيرا .. قال : قومى فقامت من مجلسه ، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال : (السلام عليك أيها الأمير ،أتأمر بشيء ؟

فقال : أى شيء آمر به وضحك ، فقال شريك :

أيها الأمير ؟ ذاك الفعل حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الأدب !!

إننى لن أفاجأ - ياسيادة الرئيس - بسخريتك بعد قراءة هذه القصة ؛ فالعدالة فى معظم أقطار العالم الإسلامى نادرة ..

إن لم تكن معدومة ! وأوافقك فى كل ما تقوله تماما وبغير تحفظ ، فما بين (الإسلام) وبين (المسلمين) أبعد مما بين المشرق والمغرب ! وإن كان هذا (التناقض) بين (العقيدة) والواقع ليس وقفا على المسلمين فقط ، بل هو ظاهرة عامة بين أهل الأديان جميعاً دون فرق فوصايا المسيح وتعاليمه لم تطبق أبدا فى أى يوم فوق هذه الأرض !

فالمسلمون - ياسيادة الرئيس - ليسوا وحوشا .

دعك من هؤلاء الطغاة الذين يحكمون فى بعض أقطار العالم الإسلامى هؤلاء الطغاة - كما تعرف - صناعة أميركية مائة فى المائة !

إننى لا أريد فتح (الملفات) فالعزيزة (السى - آى ،، إيه) تعرفهم جيدا كما تعرف كيف تتخلص منهم واحدا .. واحدا .. !

ودعك من هؤلاء الجهلة الأدعياء الذين ظهروا فجأة على مسرح الأحداث فى بلادنا .. هؤلاء الذين أساءوا إلى الإسلام بجمودهم وتخلفهم ، والذين فقدوا نور البصيرة والعقل فأساءوا إلى الإسلام قبل أن يسىء إليه غيرهم .. !

إننى لا أبالغ إذا قلت : إن هؤلاء الأدعياء (صناعة أمريكية) أيضا وأطلب ملفات هؤلاء الجهلة والمتخلفين من (أرشيف) (السى . آى . إيه) فى (لانجلى) .

إن (السى . آي . إيه) كانت تدعو إلى عقد مؤتمرات إسلامية . !

أجل مؤتمرات إسلامية . ! ولكن من وراء ستار (البعض) الذين اتخذتهم (غطاء ومطية) .!!

إن مثل هؤلاء المتخلفين الجهلة - من المسلمين - والذين يسيئون إلى الإسلام موجودون فى كل دين وموجودون فى كل ملة ..

إنهم على شاكلة عصابات (الكوكلوكس كلان) فى أميركا ، ونموذج آخر من (الإنجيليين الأصوليين) الذين يريدون خراب الدنيا ...

إن كلمة (أصولى) أو (أصولية) التى تعنى الجمود والتخلف ، أو الغباوة والجهل كلمة غريبة فى تراثنا الحضارى .. وهى كلمة لم يسمع بها - أحد من المسلمين قبل أن تشيع وتذاع فى جهازكم الإعلامى .

فقد ظهر هذا المصطلح فى الأوساط الكاثوليكية (١) الفرنسية قبل الحرب العالمية الأولى بقليل .. وهو يشير إلى تصلب الكاثوليكية بنصوص نسجوها على مر التاريخ .. كما أنه تعبير مرتبط برد فعل الكنيسة ضد التغيرات السياسية والثقافية الناجمة عن عصر الثورة الفرنسية وعصر التنوير ..

وكان (البابا بيوس التاسع) قد أدان أخطاء العصر الحديث فى ثمانين بندا عام ١٨٦٤ م واعتبر المجتمع الحديث ضد الكنيسة الكاثوليكية ... ثم قامت مجلة (الحضارة الكاثوليكية) التى تصدر تحت إشراف الفاتيكان بنشر البيان التالى :

(إن المبادئ الكاثوليكية لا تتعدل .. لا بسبب السنوات التى تمر ولا بسبب تغيير البلدان ، ولا بسبب الاكتشافات الجديدة ، ولا بسبب المنفعة .. إنها المبادئ التى بشر بها المسيح ، ونادت بها الكنيسة ، وحددها البابوات والمجامع وتمسك بها القديسون ، ودافع عنها المختصون .. ومن

(١) د / زينب عبدالعزيز - رئيس قسم اللغة الفرنسية - جامعة المنوفية .

الضرورى تقبلها كما هى .. ومن تقبلها بكاملها وبكل أبعادها فهو كاثوليكى أمام الله ، وأمام الكنيسة ... ومن خالف ذلك كان خائناً ومرتدا غير كاثوليكى .. !!

كانت الطامة الكبرى .. يوم وقفت الكنيسة بما تبنته من آراء (علمية) خاطئة ، وخرافات وأساطير شائعة ، واعتبرته جزءا من الدين والعقيدة . يوم وقفت بهذا الجهالة فى وجه المنهج العلمى التجريبى الذى تسرب من الجامعات الإسلامية إلى أوروبا .

ففى مجال العلم :

وقفت الكنيسة حائلا ضد أى اكتشاف علمى ، أو نظرية علمية لا تتفق مع مقررات الكنيسة وتعاليمها الموروثة على مدى قرون ، كما حدث بالنسبة لنظرية (دوران الأرض حول الشمس) التى كشف عنها (كوبيرنيكوس) (١٤٧٣ - ١٥٤٣ م) .

وكانت مناقضة تماما لنظرية (بطليموس) التى كانت تقضى بثبات الأرض ومركزيتها بالنسبة للشمس ، والتى ظلت مسيطرة على عقل الكنيسة والمسيحيين لمدة خمسة عشر قرنا تقريبا ..

وعندما توصل (كوبيرنيكوس) إلى نظريته تردد فى نشر بحثه مدة طويلة .. يقول (كوبيرنيكوس) فى كتابه إلى البابا بولس الثالث :

(إننى ترددت لمدة طويلة .. هل أنشر ما كتبته للبرهنة على حركة الأرض أو أحذو حذو أتباع (فيثاغورث) الذين دأبوا على الإفضاء بأسرارهم الفلسفية لأقاربهم وأصدقائهم شفويا .. وعندما تأملت فى هذا كثيرا كدت أضع هذا العمل جانبا بسبب الازدراء الذى يحق لى أن

أتوقعه لكون نظريتى جديدة وعلى نقيض ما يقبله العقل ؟) (١) ..

وقد عارض النظرية كل العامة ، وطلبة الجامعة ، ورجال الكنيسة .. بل عارضها الثائرون على الكنيسة البابوية من رجال الدين أنفسهم ..

يقول (مارتن لوثر) عن (كوبيرنيكوس) :

(... يريد ذلك الأحمق أن يقلب علوم الفلك كلها رأسا على عقب .. ولكن كما يقرر الكتاب المقدس أن الشمس نفسها وليس الأرض هى التى أمرها يوشع بأن تقف ..)

وأكد (جون كلفن) من كبار قادة الإصلاح الدينى : أن الأرض ثابتة .. مستشهداً بالمزمور ٩٣ ، (وكذلك ثبتت المسكونة لا تتزعزع) وسأل باحتقار (من ذلك الذى يجرؤ على وضع سلطة (كوبيرنيكوس) فوق سلطان الروح المقدس ؟ !!) .

وقررت الكنيسة الكاثوليكية : أن الاقتراح القائل بأن الشمس هى المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف فى علم اللاهوت .

ويروى التاريخ قصصا كثيرة عن آلاف العلماء الذين عوقبوا فى أوروبا وأحرقوا أحياء بسبب هذه النظرية وغيرها من النظريات العلمية .

ويصف (ليكى) فى كتابه : (تاريخ الأخلاق فى أوروبا) ...

أن التبذل والإسفاف قد بلغا غايتهما فى أخلاق الناس واجتماعهم . وكانت الدعارة ، والفجور ، والإخلاد إلى الترف ، والتساقط على الشهوات والتملق فى مجالس الملوك ، وأندية الأغنياء والأمراء ،

---

(١) (كتب غيرت العالم) لروبرت ، ب . داونز - ترجمة أمين سلامة طبعة ١٩٧٧ - ص ٢٢٣ - وكتاب (خرافة العلمانية) - د / يحيى هاشم .

والمسابقة فى زخارف اللباس والحلى والزينة .. فى حدتها وشدتها ..

كانت الدنيا فى ذلك الحين تتأرجع بين الرهبانية القصوى ، والفجور والوهم اللذان هما عدوان لشرف الإنسان وكرامته ...

وقد ضعف رأى الجمهور حتى أصبح الناس لا يحتفلون بسوء الأحدوثة والفضيحة بين الناس ، وكان الضمير الإنسانى ربما يخاف الدين ووعيده ... ولكنه أمن واطمأن لاعتقاده أن الأدعية وغيرها تكفر عن جميع أعمال الإنسان ...

لقد نفقت (١) سوق المكر والخديعة والكذب حتى فاق هذا العصر فى ذلك عصر القياصرة .. لكن الظلم والاعتداء والقسوة والخلاعة كانت تؤدى إلى انحطاط فى حرية الفكر والحماسة القومية) ...

وفى مجال آخر : كانت كلمة (العلم) فى هذا العهد تعنى الهرطقة والكفر والحرمان من الخلاص .

وكان الاعتقاد شائعاً فى أوروبا بأنه لا يوجد عمران فى الجانب المقابل من الأرض ...

إذ كيف يعتقد إنسان أن قدمه تعلو رأسه ؟ !! وكيف توجد أشجار جذورها فى السماء وفروعها فى الأرض ؟ !!

لهذا حاربوا فى بداية الأمر .. رحلة (فاسكو داجاما) ورحلة (ماجلان) لأن ما يقولانه مخالف لنصوص الكتاب المقدس .

وعندما اخترعت المطبعة صدرت قرارات بمنع نشر أى كتاب أو مطبوعة قبل أن تأخذ إذنا من المجمع المقدس .

---

(١) نفقت - أى راجت وانتشرت .

تقول (مجلة التايم) فى تعليقها على زيارة البابا (جون بول الثانى) لأمريكا عام ١٩٧٩ م : (خلال عام واحد قفز الحبر الأعظم إلى بؤرة الضوء كزعيم متألق يتعطش العالم إليه .. زعيم قادر على تحريك الناس ليحققوا إنجازات أكبر من تفكيرهم ...

إنه رجل كل العصور وكل المعتقدات) .. ! !

وقالت (نيوزويك) : (إن الطريقة التى يثير بها الحماسة توحى وكأن الروح المقدس قد ظهرت فى أميركا) .. ! !

وأعلن المذيع فى التليفزيون الأميركى : (إن من معجزات البابا أنه فى سنة واحدة أسقط (عيدى أمين) وأحل حاكما مسيحيا محله ، وأسقط (بوكاسا) الحاكم الإفريقى المسيحى الذى تجرأ واعتنق الإسلام ! .. أسقطته قوات أكبر دولة كاثوليكية فى العالم) .. ! !

ويقول بعض المعلقين الصحفيين عن هذه الزيارة :

(رحلة البابا عمل سياسى كامل .. رغم أن كارتر بوصفه رئيس أكبر دولة مسيحية - كانت إلى سنوات قريبة معادية للكاثوليك - قال :

(لقد اتفقت مع البابا على أن الكنيسة لا يجوز أن تتورط فى السياسة وأن ترتبط بنظام سياسى) ... إلا أن البابا لم يترك قضية سياسية إلا وتحدث فيها .. من المشكلة اللبنانية .. إلى التعايش .. إلى الطغيان فى أميركا اللاتينية .. والحوار بين الشمال والجنوب ... مرورا بمستقبل القدس وكامب ديفيد) (١) ...

ويقول أحد شهود هذه الزيارة وهو باكستانى علمانى يدعى)(أحمد

(١) العلماء المسلمون فقط هم الذين لا يحق لهم الكلام فى السياسة !!

الماوردى) : (لا أصدق ما أراه كأنى أعيش فيلما عن القرن الثانى عشر .. كنت أظن أننى أعيش فى قلب الحضارة العلمانية المادية .. حتى رأيتهم ينادون البابا بصاحب القداسة ...

لقد ثرنا على الإسلام .. مع أنه لا قداسة لأى فرد فى الإسلام حتى محمد الذى يعتقد المسلمون أنه نبى نزل عليه ملاك من السماء لا يوصف بالقدسية بل يقول المسلمون : (العصمة لله وحده) وليس هناك زعيم إسلامى ، أو رجل دين يدعى معجزة واحدة ..

وعندما قال شيخ الأزهر فى مصر - وكان من الصوفيين - إنه رأى فى المنام - ولا قيد على (الأحلام) - :

رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعبر مع الجيش المصرى خط بارليف ثارت ثائرة العلمانيين والتقدميين فى العالم العربى واتهموه بالخرافة والعودة للقرون الوسطى ، وقالوا : إنه فى عصر الصواريخ الموجهة والفانتوم والوصول للقمر لا مكان للدين أو الميتافيزيقا ... !!

فى الولايات المتحدة تخصص فى كل اجتماع للبابا أماكن للمقعدين والمرضى الذين جاؤا من جميع أنحاء الولايات المتحدة فى انتظار معجزة تشفيهم بعدما عجز الطب فى أرقى بلد عن شفائهم ...

بل ويسأل المذيع كاردينال نيويورك عن شروط تعيين الكاردينال ، فيعددها الكاردينال .. ومن بينها : وقوع معجزتين على الأقل .. ! ! !

ويسأله المذيع الذى أذاع على الهواء نزول أول أمريكى على القمر ..

يسأل بكل هدوء وبدون أن تظهر على وجهه ملامح شك : وما هى معجزاتك ؟

فيرد بتواضع شديد : (شفاء سرطان فى الحنجرة لأحد المؤمنين) .. !!
لقد سألت نفسى طوال هذا الأسبوع :

هل نحن ضحية لعبة شديدة الخبث خرجنا منها بلا صواريخ ولا دين .. بل بالفقر والكفر ؟ بينما احتفظ الآخرون بدينهم ووضعوا أعلامهم فوق القمر ... ؟

لقد ذهلت .. وأنا أرى البابا فى ثياب أفخم من أى ثياب يرتديها ملك ، ويضع تاجا على رأسه ويمسك صولجانا .. ولم تخطىء (الواشنطن بوست) عندما قالت : إن كنيسة روما احتفظت بتقاليد ورسالة الامبراطورية الرومانية ، والبلاط الإمبراطورى ... فحكومة الفاتيكان اسمها (CURIA) .. وهو نفس الاسم للبلاط الرومانى .. أو مبنى مجلس الشيوخ الرومانى ولقب (PNTIFA) التى كانت تعنى الكاهن الأعظم فى الامبراطورية تحولت إلى (PONTIFF) .

أى (الحبر الأعظم) كما نقول نحن العرب .

ويقول الباكستانى صاحب القصة : إن الغرب مايزال يعشق الامبراطور الإله ، وما رأيته خلال زيارة البابا يجعلنى أعيد النظر فى كل ما تعلمته على أيدى الأساتذة فى بلاد الغرب .. !

إن (الأصولية الإسلامية) .. تختلف عن غيرها فى الجوهر والشكل وفى حركة الحياة وامتدادها إلى آخر الدهر ..

إنها أى (الأصولية الإسلامية) حركة جهاد دائم ضد التخلف .. وحركة دائبة نحو التقدم .. فليست هناك (كنيسة) تهيمن ، ولا (كهنوت) يقود حركة الحياة فى نفق البلادة والجهل والتزمت ، ولا

محاكم تفتيش تقيم المشانق لكل من يعقل أو يفكر ، ولا صكوك غفران وحرمان ... تدخل هذا الجنة وتقذف بالآخر إلي جهنم ... !!!

إن معنى (لا إله إلا الله) فى عقيدتنا أكبر كثيرا من ترداد هذه الكلمات التى ينطق بها المسلم .. إنها تعنى انعتاق الإنسان من كل قيد وتعنى حرية الإنسان أمام أى فرد ، وتعنى سقوط كل الخرافات والأوهام التى تجعل من البشر عبيدا (لبابا أو (امبراطور) يزعم أنه ظل الله فى الأرض ... !!!

هذه هى (الأصولية) كما نعرفها ...

أصولية تقوم على العلم ، وعلى الفهم الحقيقى لرسالة الإسلام ودوره فى هذا الكون ، وعلى التنسيق والتخطيط لكل ما يرفع شأن الإنسان ويخلصه من براثن التخلف والجهل والفقر ، وعلى إحياء قيم الإيثار والإخاء والفضيلة فى التعامل مع الغير ، وعلى إعزاز أمة الإسلام ، والعودة بها إلى أيام القوة والمجد .. !!

وهذا هو الخطر الذى ترتجف منه أوروبا خوفا ورعبا .. ولهذا يحاربون الإسلام والمسلمين شرقا وغربا .. !!

(... لقد حسب هؤلاء أن ماضينا كماضيهم) (١) ، وتراثنا كتراثهم وأن لدينا كنيسة مثل كنيستهم ، وكهنوتا مثل كهنوتهم ، وأن عندنا من يصدر قرارات الحرمان ، أو من يبيع صكوك الغفران .. !!

وإن من أظلم الظلم أن يؤاخذ الإسلام فى الشرق بجرائم الكنيسة فى الغرب ، وأن يقاس تاريخنا على تاريخ القوم هناك ، وأن يحكم بالإعدام

(١) د ؛ يوسف القرضاوى - مجلة الدوحة - مارس ١٩٨٦ م .

على تراثنا من أجل جناية تراث آخر لقوم آخرين ... !!! ثم إن هؤلاء يتوهمون أن الرجوع إلى التراث يجعلنا سجناء الماضى ، ويضع قيدا على حركتنا وانطلاقنا إلى الأمام .

والواقع أن تراثنا ليس - كما تصوره هؤلاء - قيدا فى الأرجل أو غلا فى الأعناق .. إنما هو منارة تهدى ، ونور يضىء ..

إن التراث الذى ندعو إليه ليس تراث أمة بدائية أو جماعة خرافية ، وليس تراثا مغلقا ولا متعصبا ... بل هو تراث رسالة خالدة ، وحضارة ضخمة وأمة كبرى .. تراث أمة عالمية جمعت بين العلم والإيمان ، ووصلت الأرض بالسماء .. تراث يتسم بهذه الخصائص التى لا تخفى على دارس متعمق منصف .. مسلما كان أم غير مسلم ..

فهو - وإن كتب بالعربية ، وانطلق من المفاهيم والقيم الإسلامية - تراث إنسانى يهدف إلي تحرير الإنسان ، ويعمل على كرامة الإنسان .. كل إنسان ، ويطالب له بالحقوق ، كما يطالبه بالواجبات .. يحفظ له حريته الدينية (لا إكراه فى الدين ..) - سورة البقرة آية ٢٥٦ - : شعاره : (ولقد كرمنا بنى آدم ..) - سورة الإسراء آية ٧٠

وهو تراث يؤمن بالقيم فى كل جوانبه .. فقها كان أو أدبا .. علما كان أو فنا .. عمارة كان أو حضارة .. وهو لا يؤمن بفصل الأخلاق عن العلم ، ولا عن الفن ولا عن السياسة ، ولا عن الاقتصاد ، ولا عن الحرب .. فهو تراث يعبر عن رسالة هدفها أن تتم مكارم الأخلاق .. !!

إن (الدولة) أو (الحكومة) فى الإسلام ليست دولة أو حكومة (دينية) أى (لا هوتية) كما يفهمها الغرب .. إنها دولة لجميع الناس

دون تفرقة .. دولة الإخاء والعدالة لكل من يعيش فى كنف هذه الدولة .
دولة أساسها (الشورى) .. الشورى التى تجعل امرأة تقف فى وجه (الخليفة) لتقول له أخطأت : والشورى التى تجعل رجلا من عامة الناس يقول لهذا الخليفة : لو وجدت فيك اعوجاجا لقومته بالسيف . !

دولة العلماء المتخصصين فى كل فن . ودولة الخبراء فى كل مجال من مجالات التقدم والرقى .. وأولو الأمر فى هذه الدولة ليسوا هم الطغاة كما يلتبس الأمر عند البعض ، كما ليسوا هم العلماء المتخصصين فى شئون الدين فقط .

أولو الأمر تشمل كل العلماء المتخصصين فى كل فن . فالطبيب هو ولى الأمر فى شئون الطب والعلاج ، والمهندس هو ولى الأمر فى شئون التعمير والبناء والقائد العسكري هو ولى الأمر فى شئون الحرب والدفاع والفقيه والعالم هو ولى الأمر فى شئون الدين وتفسيره فى هذه الحياة .
والإسلام هو الدين الوحيد الذى جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ويوم وعى المسلمون هذه الحقيقة أصبحوا سادة الدنيا ونجومها المشرقة .. وانتشرت أنوار حضارتهم لتشمل العالم كله .

● حدث هذا كله فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعتبر العلم جريمة وفى الوقت الذى كانت تفخر فيه أوروبا بأن (الجهل) هو أبو الإيمان والعقيدة ، وفى الوقت الذى كانت الكنيسة (تنصب الرجل قديسا) ، لأنه ألغى عقله ولم يستحم فى حياته مرة واحدة ... ! ! !

● حدث فى الوقت الذى كانت أوروبا تحاكم فيه الفئران لأنها تسرق ما تأكله من مخازن الطعام فى البيوت . !

● أوروبا التى عقدت محاكمة لأحد الديوك بتهمة أنه باض (١) ! ..

حدث هذا كله فى الوقت الذى أرسل فيه ملك انجلترا (جورج الثانى) رسالة إلي الخليفة (هشام الثالث) .. يقول فيها بالنص وبالحرف :

من جورج الثانى ملك انجلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام : بعد التعظيم والتوقير :

فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد التعليم والصناعات فى بلادكم العامرة .

فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثره لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة .. !

وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة (دوبانت) على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها من بنات أشراف الانجليز موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة .. (٢) .. إلخ .

من خادمكم المطيع

جورج الثانى

● ● ●

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب (من روائع حضارتنا) ...

(٢) اقرأ فى هذا الموضوع كتابنا (إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة) ص ١٧٥ وما بعدها - وكتاب (من روائع حضارتنا) الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله .

حسبنا فى ذلك أن يكون أول نداء يفتتح به الله وحيه إلى نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) قوله عز شأنه :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) .

يأمر الله بالقراءة ، والقراءة طريق العلم والمعرفة ، ثم يرشد إلى الاستعانة عليها باسم (الرب) مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق ، فيستشعر الإنسان بعزة شأنها وأنها من الأمور العظمى ، ثم يذكر خلقه وتكوينه ، ويردفه بنعمة العلم (الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

ويكون بذلك قد سوى بين نعمة الخلق والايجاد ونعمة العلم ... فيكون ذلك إيحاء بأن المخلوق الجاهل لا اعتداد بوجوده فى هذه الدنيا ! ! .

إن الناس فى نظر الإسلام أحد رجلين : إما متعلم يطلب الرشد ، وإما عالم يطلب المزيد .

يقول النبى عليه الصلاة والسلام :

(العالم والمتعلم شريكان فى الخير .. ولا خير فى سائر الناس) .

وفى الحديث أيضا :

(من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلي الجنة ، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم .. فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ..

فاذا أمعنا النظر فى صفحات القرآن الحكيم راعنا هذا الحوار القائم بين

الله سبحانه وبين الملائكة عن (آدم) واستخلافه عن الله فى الأرض :

(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) .. قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال إنى أعلم ما لا تعلمون .

وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (١) .. قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك؛ أنت العليم الحكيم .. قال : ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (٢) .

حينئذ ... سجد الملائكة لآدم تكريما .. تكريما وتعظيماً للعلم الذى تميز به آدم على الملائكة المقربين وحملة العرش .

أليس فى هذه المفاضلة بين آدم والملائكة إشعار بأن الأساس الذى تميز به آدم على الملائكة إنما هو العلم .. ؟

إن العلم فى نظر الإسلام هو كل إدراك يفيد الإنسان توفيقا فى القيام بمهمته العظمى التى ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعل خليفة عن الله فى أرضه .

(هذه المهمة هى عمارة الأرض واستخراج كنوزها واكتشاف أسرار الله فيها فإدراك ما يصلح به النبات وينمو ، وما تستنبت به الأرض وتحيا علم ... وإدراك ما يصلح الحيوان ويستمر به نسله .. علم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٠ - ٣١ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٢ - ٣٣ .

وإدراك الوسائل النافعة لتحصيل الأموال وازدهار الصناعة .. علم .
وإدراك الأمراض وعللها وكيفية علاجها والوقاية منها .. علم .

وقد أدرك المسلمون الأولون قيمة العلم ومنزلته فى سعادة الأفراد والأمم ، كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب فجدوا فى محو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح الأسير إذا هو علم عددا من أبناء المسلمين القراءة والكتابة وجعلوا تعليم القرآن مهرا فى الزواج ، وأطلقوا لأنفسهم سراح النظر فى الكائنات ، فأدركوا منها ما يسعدهم فى الحياة ، ويجعلهم أئمة يهدون بأمر الله .

ومنذ نزل القرآن الكريم وشق به الرسول طريق الحياة ، شرع العقل الإسلامى يعمل بجهد رائع وحرية مطلقة ، ويختلف العلماء باختلاف أساليب البحث والنظر دون أى حرج .

لقد هدم الإسلام أسوار الكهنوتية البغيضة ، وأزاح عن العقل كل وصاية مفروضة ، وأطلق ملكات الإنسان الحبيسة كى تأخذ مسارها الطبيعى فى رحاب الكون كله .. فلم يشهد المجتمع الإسلامى ما شهدته أوروبا من تحجر العقل ، وجدب الروح ، وبلادة الحس ، والضرواة فى محاربة العلماء والعلم .

يقول (بريفولت) فى كتابه (بناء الإنسانية) :

(لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوروبى إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وكانت أظهر ما تكون فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى) .

ولقد كان احتكاك الغرب بالشرق عن طريق الحروب الصليبية وإسبانيا من أهم العوامل فى النهضة الأوروبية ومولد الحضارة .

• • •

هل تذكر شيئاً يا سيادة الرئيس من خطاب الرئيس الأسبق (رونالد ريجان) عندما أعلن عن ترشيح نفسه لقيادة أميركا ؟

اطلب صورة من هذا الخطاب من مكتبة البيت الأبيض أو من مكتبة الكونجرس .

سترى فى هذا الخطاب عجبا .. بل سوف تقول فورا إن كاتب هذا الخطاب لا يمكن أن يكون رئيس دولة .. بل إن قائله (بابا) فى (كنيسة) أو (حاخام) فى (معبد) .!

لقد قال ريجان موجها كلامه إلى أعضاء الكونجرس :

إننى أذكر الكونجرس بتقليد يحافظون عليه منذ مائتى سنة ، لتأكيد أن أمريكا أمة واحدة فى حفظ الله ، ومن حقى أن أسأل : إذا كان الكونجرس يفتتح جلساته كل يوم برجل دين يقف هنا فى مكانى هذا ، يؤمكم فى الصلاة ، فلماذا لا نعطى لأطفالنا فى المدارس نفس الحق فى عبادة الله .. ؟ !

وانفجرت عاصفة التصفيق والهتاف ، ليتابع الرئيس بعد أن هدأت القاعة : (إن أمريكا أقامها رجال آمنوا بأنه لا عاصم إلا الله ، إلهنا ، وإذا كنت أعترف بأننا يجب أن نكون على حذر فى ادعاء أن الله معنا ، فإن من الضرورى أن نتساءل دائماً : هل نحن مع الله ؟ ! .

ثم تحدث عن سياسته فى منع الإجهاض ، لأنه قتل للنفس التى حرم

الله قتلها إلا بالحق ، أو بنص عبارته : (إلى أن يثبت العلم أن الجنين منذ لحظة تشكله ليس نفسا حية ، فليس من حقنا أن نقتل هذه الحياة)

وأكد ريجان حملته على المخدرات والإباحية والشيوعية ، وقال (إن الإجابة عن كل ما يواجهنا من مشاكل اليوم موجودة فى الإنجيل) إذا ما قرأنا وآمنا) ! ...

واستشهد بكلمة أحد الممثلين الذى قال (لا شىء فى الدنيا أعز عندى من أولادى) ولكنى أتمنى أن يموتوا اليوم وهم مؤمنون بالله ، عن أن يكبروا ويكفروا به) .. إنهم يهاجموننى لأننى أعلنت أن هذه السنة سنة الإنجيل ...

إننى أعتز بهذا الاتهام وأحمله على صدرى كوسام (إننا بلد ديموقراطى) والكونجرس يجب أن يلبى إرادة الشعب ، شعبنا يريد عودة الدين للمدارس وعندما نعيد الله والنظام للمدارس ، فإننا سنطرد المخدرات والجريمة من هناك) ..

لقد عاد الأمل إلى هذه البلاد بالانبعاث الروحى .. إن الأموال التى ننفقها فى محاربة المخدرات والخمر والأمراض يمكن توفيرها ، لو حاولنا جميعا أن نعيش وفق الوصايا العشر.. لقد أخبرونى أنه منذ بداية الحضارة سُنّتْ ملايين القوانين ، ولكنها جميعا لم تصل إلى مستوى قانون الله فى الوصايا العشر . !

وفى الجهة المقابلة ، نجد اليهود يقدمون لنا فى كل صباح دليلا جديدا على محافظتهم على تعاليم التوراة والتلمود ، وإن ذلك هو سر تجمعهم وانتصاراتهم ، وليست قصة مشروع الزواج المدنى التى فشلت فى

إسرائيل فشلا ذريعا بالرغم من الأقلية الدينية المتطرفة فى (الكنيست) إلا مظهرا لذلك التزمت المريب .

ولقد سمعت عضو (الكنيست) مناحم باروس (١) يقول فى حوار بالراديو الإسرائيلى (إن سر بقاء اليهود متمثل فى محافظتهم على تقاليدهم وطقوسهم الدينية المستقاة من التوراة) ، وقرأت للكاتب الإسرائيلى (ماتن غولان) قوله : (لقد قامت الدولة لتحقيق وجود واستمرار الدين اليهودى والعنصر اليهودى) .

لقد عاش الدين اليهودى والشعب اليهودى قرونا طويلة دون دولة يهودية ويمكن استمرارها بدون دولة .. لكن الدولة اليهودية لا يمكن أن تعيش بدون التمسك بالديانة اليهودية) ...

وسمعنا أخيرا أن مجموعة من المتدينين الإسرائيلين قد اعتدوا فى وضح النهار وبمرأى من رجال الأمن على متجر لبيع المنشورات الداعرة ، وتحطيمه وحرق محتوياته ... كما سمعنا باعتداءاتهم المتكررة على الإرساليات التبشيرية المسيحية لحماية المجتمع اليهودى من الانحراف الدينى .

ونجد أن (شمويل يوسف عجنون) وهو من كبار المفكرين اليهود الحائز على جائزة (نوبل) فى الآداب لا يخجل أن يقول : إنه يكتب بالعبرية وحدها لأنها لغة الله .. وإن كبار القادة والساسة والمثقفين وفى مقدمتهم (شازار وأشكول) وبن غوريون ، وديان وإيبان وبيرس وغيرهم وغيرهم ممن يزعم بعض مفكرينا أنهم ملحدون هرعوا عند احتلال

---

(١) سعد جمعه - رئيس وزراء الأردن الأسبق - (الله أو الدمار) دار المختار الإسلامى .

القدس العربية فى حرب سنة ١٩٦٧ م ، إلى حائط المبكى ، يجأرون بالنحيب والبكاء ، ووقفوا حاسرى الرؤوس يتلون صلواتهم ، وبلغت العصبية الدينية ببعضهم أن يدس فى شقوق الجدار أوراقا صغيرة كتبوا فيها أمنياتهم .

وذكرت وكالة (الأسوشيتد برس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة (تشرشل) فى لندن أن (شازار وبن غوريون) اللذين مثلا الحكومة الإسرائيلية فى ذلك الاحتفال ، سارا مسافة ميل ونصف ، وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين ورفضا ركوب العربة لأن يوم الاحتفال كان يوم سبت ، والدين اليهودى يحرم استخدام وسائل النقل فى ذلك اليوم .

وبن غوريون وغيره من القادة اليهود - جميعهم دون استثناء لا يأكلون الطعام إلا إذا أعد وفقا للعقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة فى التوراة .. واليهود إلى هذه الساعة ، يرجمون السيارات فى قلب تل أبيب إذا سارت أيام السبت فى الطرقات .. و.. (يوسف تيكواه) مندوب إسرائيل (١) فى الهيئة الدولية ، يعطل اجتماع مجلس الأمن ليقوم بالطقوس الدينية ...

والجماهير اليهودية حين وصلت إلى حائط المبكى فى السابع من حزيران المشؤوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر ، فعلا (النواح) وجلجلت الأصوات الهادرة :

ليسقط محمد ، اليوم انتهى محمد (محمد مات وخلف بنات)

---

(١) سابقا .

يالثارات خيبر . . . ! ! !

يقول السفير الألمانى المسلم : مراد هوفمان :

فى خلال أسبوع واحد تناولت مجلتا (التايم) (٢٠ ديسمبر ١٩٨٥) و (فرانكفورتر الجماينة تسايتونج) الأسبوعية (العدد ٣٠٠) ظاهرة مستوطنات الحسيديين (١) فى بروكلين (التايم) ، وفى حى مياشاريم فى القدس (فرانكفورتر الجمانية تسايتونج) . (٢)

ولقد أفاضت كل من الطبعتين فى وصف كيف أن هؤلاء الأصوليين من اليهود الأرثوذكس الذين يرجعون بأصولهم إلى شرق أوروبا يلتزمون بشدة بقوانينهم (الدينية) الصارمة التى تحكم الطعام ولباس المرأة . كما استطردت (الطبعتان) فى الحديث عن الفصل بين الرجال والنساء أثناء أداء الشعائرالدينية والاحتفالات العائلية مثل احتفالات الزفاف ، وتطرقنا كذلك إلى موضوع الشدة التى يأخذ بها الحسيديون أنفسهم فى دراسة التوراة والتلمود فى إطار مفاهيمهم المقابلة لمفهوم ، (التقليد) ولاحظت كل من الدوريتين كذلك مظاهر التعصب والريبة فى دفاع المجتمعات الحسيدية عن أسلوب حياتها العتيق ، وبخاصة ما تعلق منه بعادات يوم السبت .

وكان مما يثير الانتباه فى كل هذا الموضوع هو موقف المجلتين المتعاطف فى تعليقهما على سلوك الحسيديين ، فأضفت عليه (فرانكفورتر

---

(١) الحسيديين طائفة يهودية متزمتة نشأت فى بولندا فى عام ١٧٥٠ تتمسك بالشعائر الأصيلة . (المترجم) .

(٢) يوميات ألمانى مسلم ... مراد هوفمان .. ص ٢١٧ ..

الجماينة تسايتونج (وصف (القوة الإيجابية) .

وكتبت مجلة (التايم) مستمدة تعليقها من كتاب (ليس هاريس) الأيام المقدسة : عالم الأسرة الحسيدية) قائلة : أنه على الرغم من عدم اهتمام طائفة (اللونافيتشر) بالنساء ، فقد لاحظ هاريس الصبغة الإنسانية التى طبعت أسلوب حياتهن ، ومن ثم قال إن النساء قد وثقن فيما بينهن رابطة أخوة على غرار تلك التى بين نساء الأمازون ، وإن الرجال يحترمون زوجاتهم وليس هناك دلائل ظاهرة على الخيانة .

وبعبارة أخرى فإن ما قد يوصم فى ظل ظروف أخرى بأنه دليل على التفرقة بين الرجل والمرأة ، نراه هنا يجد تأييدا باعتباره فصلا إيجابيا بين أدوار الرجال والنساء . !

إن المرء ليوشك أن يصرخ بملء فيه :

ياللعجب ! ياللعجب ! ولكن هل يمكن للمرء أن يتصور طبيعة التعليق الذى يمكن أن تلقاه نفس هذه الظاهرة من قبل الدوريتين لو أن الأصولية موضع التعليق لم تكن يهودية بل إسلامية ؟ فعلى ضوء الخلفية الإسلامية يلاحظ أن نفس القواعد ونفس التقاليد لابد وأنها كانت ستتعرض للإدانة باعتبارها تمثل ضيق أفق ، وتعصبا ، ولا عقلانية ، وأنها تقاليد غامضة ، وانتهاك لحقوق المرأة فى المعاملة المتساوية ، وأنها كلها أمور لا رجاء فى إصلاحها . ؟ !

• • •

(الأصولية الإسلامية) ياسيادة الرئيس لا تعنى التخلف أو الجهل ، كما لا تعنى الإرهاب أو القتل ، فالإرهاب جريمة إنسانية بكل المقاييس.

والإسلام يحرم على المسلم التلويح بآلة حادة فى وجه أى إنسان ولو على سبيل المزاح أو التخويف ...

وأسألك ياسيادة الرئيس

كيف قامت إسرائيل ؟ بل ماذا تعرف عن (بيجين) وبن (جوريون) ؟

وماذا تعرف عن عصابات (شتيرن) و(زفاف ليومى) و(الأرجون) ؟

بل ماذا تعرف عن (شامير) و (إريل شارون) ؟

من نسف فندق الملك داود ؟ وقتل الكونت برنادوت ؟ ومن أطلق النار فى شوارع القاهرة على (اللورد موين) ؟

من حاول نسف المسجد الأقصى ؟

ومذبحة المسجد الإبراهيمى فى الخليل ؟

ومذابح صبرا وشاتيلا فى بيروت ؟

ومن قتل العالم المصرى (المشد) فى باريس ومحاولة قتل (خالد مشعل) التى باءت بالفشل الذريع ؟

وماذا تقول يا سيادة الرئيس عن منظمة الجيش الجمهورى فى المملكة المتحدة ؟

وعن حزب (جاناتا) فى الهند ؟ وعن منظمة (إيتا) فى إسبانيا ؟ و(اليوم السابع عشر) فى اليونان ؟ ومنظمة (بادر ما ينهوف) فى ألمانيا ؟ و (الجيش الأحمر) فى اليابان وإيطاليا ؟

و (منظمة أوم) فى طوكيو ؟ و (الكوكلوكس كلان) ؟

و (أوكلا هوما سيتى) ؟

ومذبحة (الأب جونز) ؟ و (ديفيد) فى (واكو) ومذبحة (باب

الجنة) فى كاليفورنيا ؟ ومن قتل (الليندى) فى شيلى ؟

ومن قتل (ضياء الحق) فى باكستان ؟

ومن اغتال الملك فيصل فى الرياض ؟ من أباد الهنود الحمر ؟

و(الابوريجنال) فى استراليا ؟ والتخطيط لضرب إيران ؟

ومحاولة فصل جنوب السودان ؟ من دفع (صدام حسين) للحرب ؟

ومن قذف طرابلس بالقنابل ؟

إننى لست متعصبا ياسيادة الرئيس ولن أكون ..

فالتعصب ربيب الجهل .. وأنا يعلم الله - أحب كل البشر فالكراهية لا تقتل إلا أصحابها ! .. ومنذ التحقت بالأزهر جامعة المسلمين الأولى فى العالم - فى أوائل الأربعينات - كنت أسكن قريبا من (حارة اليهود) أو (الجيتواليهودى) فى القاهرة القديمة والذى كان يقع قريبا من (الجامع الأزهر) ومسجد الإمام الحسين كنا نتعامل مع اليهود بمودة بل كان أكثر تعاملنا مع التجار اليهود أكثر من تعاملنا مع التجار المسلمين فى شارع التجارة المعروف باسم شارع الموسكى وكان من أشهر المحلات اليهودية فى حى الأزهر محلان أحدهما يملكه (داود عدس) والآخر يملكه (بنزايون) أو (ابن صهيون) كما هو اسمه الحقيقى . !

• • •

ياسيادة الرئيس :

فى محاضرته عن (الإسلام والغرب) قال الأمير تشارلز ولى عهد المملكة المتحدة فى جامعة أكسفورد .

● هناك سوء فهم شديد بين العالمين الإسلامى والغربى وهذا الواقع

يدركه كل إنسان هنا فى بريطانيا .

● إننا لا نستطيع إنكار المآسى التى يتعرض لها المسلمون فى العالم وبخاصة فى البوسنة والهرسك .

● وإنه من الغريب أن يستمر سوء الفهم حتى يومنا هذا بالرغم من أن المسلمين والمسيحيين واليهود أصحاب كتب سماوية وديانات سماوية ، وإننا جميعا نشترك فى قيم واحدة ، منها احترام المعرفة والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين ، لقد وقفت مبهورا أمام كلمة (ولا تقل لهما أف) ... لأن مجتمعنا فى أشد الحاجة إلى هذا الوفاء والبر .

● إن مناهج التعليم فى بلادنا تمجد أبطال الحروب الصليبية ، بينما كانت هذه الحروب تمثل عند المسلمين أقصى درجات التوحش والهمجية .

● وإذا كان تاريخ الفتوحات العثمانية يمثل همجية عند الغرب ، فإن هذه الهمجية عادت مرة أخرى إلى بلاد المسلمين على أيدى قوات أوروبا التى أخضعت معظم بلاد المسلمين لحكم أوروبا فى القرن الماضى وحتى منتصف هذا القرن .

● إننا ننظر إلى الإسلام من خلال بعض الفتن والأحداث التى يثيرها البعض كما حدث فى لبنان ، ومن خلال ما يسمى بالأصولية الإسلامية . وهذا - خطأ جسيم ، لأن فى بريطانيا نفسها تقع مثل هذه الأحداث ، فهل نحكم على بريطانيا مثل هذا الحكم بسبب قلة منفلتة ضد العدل والقانون ؟

● إن الحكم على الشريعة الإسلامية بالقسوة حكم بعيد عن الإنصاف فعلينا أن نفرق بين الشريعة كنظام وقانون وبين التطبيق الذى يخضع

لأغراض سياسية لا تحترم القانون ولا الدستور .

● إن الحكم على وضع المرأة فى العالم الإسلامى من خلال بعض التصرفات المتزمته لا يعنى أن المرأة مظلومة أو مقهورة فى مجتمعات المسلمين ، لقد تمتعت المرأة بحقوقها فى الإسلام قبل أن تتمتع به المرأة فى سويسرا وقد أعطى الإسلام حقوقا للمرأة لا تتمتع بها فى أوروبا .

وفى العالم الإسلامى اليوم ثلاث نساء رؤساء لثلاث (١) دول ، هى باكستان ، وتركيا ، وبنجلاديش ، وقد جئن بانتخابات ديمقراطية سليمة .. فأين هو الظلم الذى يقع على المرأة ، كما أنه لا يجوز أن ننكر على المرأة المسلمة ارتدائها الحجاب مادام هذا من صميم دينها وتقاليدها .

● إن علينا أن نميز بين الأصولية المتطرفة وبين (الصحوة) الدينية التى تجعل المسلمين يتمسكون بقيمهم ومثلهم العليا ، إن التطرف ليس حكرا أو خاصا بالمسلمين ، فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحى وتطرف يهودى بنفس الدرجة .

● لقد أسدى المسلمون خدمات كبري إلى الحضارة والثقافة لقد كان المسلمون وعلى مدى ثمانية قرون هم أساتذة العلوم والحضارة والفن والثقافة (وقد كانت (قرطبة) فى القرن العاشر أكبر المدن تحضرا فى أوروبا .

● وقد كان الإسلام في العصور الوسطى هو المثل الأعلى للتسامح فقد منح المسلمون اليهود والمسيحيين حقوقا متساوية وفتحوا لهم طريق الترقى إلى أرقى المناصب فى الدولة .

---

(١) يقصد رئيسات باكستان وبنجلاديش وتركيا فى ذلك الوقت .

إن الإسلام يقدم لنا صورة متكاملة للتفاهم والتعايش بين جميع البشر وهو ما تفتقده المسيحية ، كما أن الإسلام فى حقيقته وجوهره يقدم لنا تصوره الرائع للحياة والكون .

● وحتى لا يصل الغرب إلى درجة الصدام بينه وبين الإسلام فإنى أطالب بقوة بمنع الصدام ، فلدى الإسلام والغرب ما يقدمه كل منهما إلى الآخر . فعلينا أن نعمل معا كى يفهم بعضنا بعضا وأن نقضى على أشباح الشكوك والخوف . وفى هذا كل الخير للعالم جميعاً .

● ● ●

فماذا تعرف أو يعرف (عموم الأمريكيين) عن الإسلام ياسيادة الرئيس ؟

إننى أعلم مسبقا الإجابة عن هذا السؤال .. فالإعلام عندكم تفوق على (إبليس) فى تزييف الحقائق ، وفى إلباس الحق ثوب الباطل . ! !

فالشريعة الإسلامية - فى نظركم - تمثل قمة القسوة ، هذا إن لم توصف هذه الشريعة بالهمجية والبداوة .. ! !

وأسألك للمرة الثانية

هل قرأت الكتاب المقدس . الكتاب الذى نؤمن به كما يؤمن كل مسيحى مخلص .. ؟

سأفترض حسن النية أى أنك لم تقرأه .. لهذا أرى من الواجب أن أعرض عليك بعض ما جاء فى الكتاب المقدس ..

خذ مثلا عن حد الردة ..

(... إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك ..

رجل أو امرأة يفعل شيئاً فى عين الرب إلهك بتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها ، أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء الشيء الذى لم أرض به ، وأخبرت وسمعت وفحصت جيدا وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجس فى إسرائيل فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة - الذى فعل ذلك الأمر الشرير فى أبوابك الرجل أو المراة وارجمه بالحجارة حتى يموت . . ! ! !

● يقتل الذى يقتل لا يقتل على فم شاهد واحد ..

أيدى الشهود تكون عليه أولا : تقتله ، ثم أيدى جميع الشعب أخيرا فتنزع الشر من وسطك .. (تثنية ١٧ : ٢ - ٧)

وإليك مثلا آخر من الحدود وهو حد الاعتداء علي يوم السبت أى العمل فى يوم السبت .. !

(. . وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم . (سبت) عطلة مقدس للرب .. كل من يعمل فيه عملا يقتل ! .. لا تشعلوا نارا فى جميع مساكنكم يوم السبت ..) - خروج ٣٥ : ٢ - ٣

أما ما جاء فى سفر (الخروج) عن الاعتداء على الوالدين : فإليك ياسيادة الرئيس ما جاء فى هذا (السفر) بالنص وبالحرف :

آ - من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا (خروج ٢١ : ١٥)

ب - ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا (خروج ٢١ : ١٧)

ج - إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما ...

يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ،

ويقولان لشيوخ مدينته .

ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا ، وهو منحرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت) (تثنية - ٢١ : ١٨-٢١) .

باختصار ياسيادة الرئيس عد إلى الكتاب المقدس وإلى سفر (الخروج) (والتثنية) و (اللاويين) هناك ستقرأ العجب ، وستعرف من الأحكام والعقوبات مالا يخطر على بال أحد :

فلماذا تضعون علي أفواهكم . (قفلا) أمام هذه العقوبات البشعة ؟ ولماذا لا يتكلم منكم أحد للاعتراض على هذه الأحكام الشديدة العنف والقسوة ؟ ! !

إن تطبيق (الحدود) فى الشريعة الإسلامية نادرا ما تتوفر شروط تطبيقه ، إن جريمة (الزنا) على سبيل المثال يصعب بل يستحيل إثباتها طبقا لهذه الشروط ، ولم يطبق حد جريمة (الزنا) إلا فى حالات نادرة من التطهر الذى طالب به أفراد ورعون طالبوا - هم أنفسهم - إقامة الحد عليهم .

كما أن (حد السرقة) لا يطبق كذلك إلا بشروط قلما تتوافر فى هذا العصر الذى ابتلى فيه العالم الثالث - أى عالم الفقراء - بالبنك الدولى وصندوق (النكد) المعروف دوليا باسم (صندوق النقد) ! ! !

أما (الحدود) كما جاءت فى الكتاب المقدس فإنها لو طبقت لما بقى يهودى أو مسيحى واحد فوق هذه الأرض . وبخاصة فى أميركا وجميع شعوب الغرب . ! ! !

• • •

ودعنى اسألك ياسيادة الرئيس :

عندما تقع جريمة ما .. فى بلد ما .. هل هذه الجريمة خاصة بالجانى والمجنى عليه فقط ؟ أم ينسحب أثر هذه الجريمة على المجتمع كله ؟

وهل المجرم أو الجانى إنسان سوى التفكير عاقل مسئول عن عمله .. أم أنه مريض يستحق الشفقة والعطف ؟

مما لا شك فيه ... أن الجريمة التى تقع .. تصيب كلا من المجنى عليه وتصيب المجتمع كذلك .. وأثرها بالنسبة للمجتمع أكبر أثرا وخطرا .. لأن المجتمع هو (الكل) ، والمجنى عليه هو الجزء ...

ولأن (الجزء) هو أصل (الكل) فالجريمة تمثل بوقوعها عدوانا على المجتمع والفرد ، لذلك يقول القرآن فى نهاية قصة قتل ابن آدم لأخيه :

(أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً .. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) (١) ..

بقى القسم الثانى من السؤال وهو :

هل المجرم أو الجانى إنسان عاقل أم مريض يستحق العلاج والعطف .. لقد قيل فى هذا الأمر كلام كثير .. اختلفت فيه الآراء والأقوال بين علماء النفس .. ورجال القانون .

وعلى فرض أنه مريض .. فهل هناك نوع واحد من الدواء يصلح لحالة كل مريض .. أم أن أنواع الدواء تختلف باختلاف أنواع المرض ؟

● مما لا شك فيه أن أنواع العلاج تختلف باختلاف حالة كل مريض .. هناك مرض تكفيه الراحة .. ومرض تكفيه بعض الأقراص المسكنة ..

---

(١) سورة المائدة - آية رقم ٣٢ .

ومرض يحتاج إلى جراحة .. ومرض لابد فيه من البتر ..بتر عضو من الإنسان نفسه حماية لبقية الأعضاء من الخلل والتسمم والموت ..

● إن الجريمة (ميكروب) قاتل .. والعقوبة هى (المصل) الواقى من هذا الميكروب) فإذا ترك الميكروب ينشر بدون وقاية وحصانة تمنع من انتشاره ..تحول إلى وباء يبيد المجتمع كله .

ياسيادة الرئيس :

فى الوقت الذى فرغت فيه من كتابة هذا الفصل من الكتاب ، كنت أستمع إلى النشرة الصباحية من الإذاعة البريطانية العالمية :

(B . B . C . W . S)

لقد أوردت هذه الإذاعة فى مقدمة النشرة هذا الخبر :

فى ولاية (أركانسو) وفى مدرسة (ويست سايد . WEST SIDE)

تربص تلميذان عمر أحدهما أحد عشر عاما واسمه (أندرو) وعمر الآخر ثلاثة عشر عاما واسمه (ميتشيل) تربص هذان التلميذان بتلميذات وتلاميذ المدرسة فأطلقا عليهم النار من (بندقية آلية) وفى هذه المجزرة (الطفولية) قتل خمسة ، وجرح عشرة . !

كما أضافت النشرة : إن عدد الجرائم التى تقع فى المدارس الأمريكية كل سنة يبلغ ٠٠٠ ر ١١ أحد عشر ألف جريمة . !

بعد يومين من هذه المجزرة أعلنت الإذاعة نفسها عن قتل خمسين مريضا فى أحد المستشفيات بمدينة (لوس أنجليس) . !

وأسألك ياسيادة الرئيس :

إذا كان عدد الجرائم التى تقع فى المدارس ومعاهد العلم كل سنة بهذا

القدر وبهذه البشاعة فكم من الجرائم تقع سنويا فى (شيكاغو) أو (نيويورك) ؟ !

وإذا كان رجل واحد قد قتل خمسين مريضا فى مستشفى فكم من القتلى والمرضى يقع ضحية الإجرام كل يوم فى أميركا : ؟ .

إن العنف ينتشر كالوباء فى أوروبا وأميركا ، والجرائم تقع كل يوم بسبب وبغير سبب فى مختلف أقطار الدنيا .

فإذا لم يعاقب القتلة والمجرمون ، على جرائمهم ، لم تعد لحياتنا قيمة ، كما لم يعد لبقائنا فيها فائدة ولا معنى .. !

وسواء أكانت الولايات المتحدة (١) الأميركية بلدا يتسم بميل خاص إلى العنف والحرب أم لم تكن لها مواقف من الحرب والعنف ، فأميركا توسم أحيانا بأنها النمو الأشد تطرفا للحضارة الغربية الأوروبية ، وقد كانت أميركا بالفعل - من بعض الأوجه - هى الأقدر على تنمية إمكانات أوروبا التى تشكلت فى العصور الوسطى . ولما كانت أميركا أقل من بلاد أوروبا التصاقا بالثقافة الكلاسيكية فقد استطاعت أن تحقق على أكمل نحو تلك الإمكانات الكامنة فى البدايات الأوربية المسيحية الديناميكية التوسعية ، فإذا كانت أوروبا الغربية - فى الألف سنة الأخيرة - من أكثر مجتمعات التاريخ البشرى نزوعا إلى العدوان والتنافس والاستعمار والغزو ، فلعل أشد فروعها نجاحا وتمتعا بالاستقلال (أعنى أميركا) كان أقلها كبحا لجماح هذه النوازع .

يقول الأب (بيلى غراهام) - وهو من أشهر رجال الدين عندكم فى

(١) الغرب والعالم . كافين رايلى جـ١ ص ١٧٥ - الطبعة العربية .

أميركا - فى كتابه (العالم يحترق) :

- (لقد ضربت المواليد غير الشرعية رقما قياسيا وانتشرت الأمراض التناسلية بشكل وبائى مريع فى الأمة بأسرها وهذا بالرغم من أحدث العقاقير) .

- (نتيجة لنسبة الطلاق والانفصال والهجر المتزايد يعيش نحو اثنى عشر مليونا من خمسة وأربعين مليون طفل فى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعيدا عن والديهم أو أحد والديهم على الأقل) .

- (كل صفحة من صفحات جرائدنا اليومية تبين بوضوح الانحلال الخلقى والروحى) .

- (كم هو محزن وساخر أن الحضارة التى أنتجت أفضل السيارات وأفضل البرادات ، وأفضل أجهزة التلفزة أنتجت فى الوقت ذاته أسوأ البشر ! !) .

- (فى تقرير عن الصحة العامة بالولايات المتحدة ، يقاسى ٨ ملايين شخص من نوع أو آخر من الأمراض العقلية ، يعالج من هذا العدد نحو مليون شخص كل عام ، ويشغل المرضى الذين يقاسون من بعض الأمراض العقلية أو النفسية ما يربو على ٥٠٪ من أسرة مستشفيات الأمة) .

- (المسكرات أصبحت الآن كارثة قومية) .

- (كل ليلة تبلع ملايين الحبوب المنومة لمساعدة الشعب على النوم وهذه المنومات والمسكنات تهدئنا فى النهار ، وملايين من الأقراص المنبهة توقظنا فى الصباح بعد أن تنتهى الأشياء التى تهددنا فى

الليل) .

- (هناك إشارة مناسبة لحيرة الإنسان اليوم ، هى تلك الإشارة التى نراها على النافذة الخلفية لسيارة (لا تتبعنى فأنا ضائع) . ! ! !

- (لقد أصبح الإنسان دنيويا وهو الآن فى خطر الدخول فى مرحلة فناء روحى ، إنه ينفى القيم الروحية ، لقد فقد إيمانه) .

وفى كتاب (الطريق) للأب (ستانلى جونس) وهو أيضاً من أهم رجال الدين فى المجتمع الأمريكى ، يقول :

- (إن النهج المسيحى الذى يشد أواصر الحضارة بعضها إلى بعض قد أخذ ينهار فى عقول كثيرة الأمر الذى ترك الحياة بلا هاد أو مرشد لأنها بلا هدف) .

- (أصبح الإيمان المسيحى إيمانا طبقيا ، وإذا لم نسترجع روح المجتمع اللاطبقى الأصلية فلابد أن تغلبنا الشيوعية) .

تقول مجلة تايم (TIME) :

● قبل نهاية هذا القرن .. سيكون فى الولايات المتحدة عشرة ملايين مواطن مصابين بالإيدز .. !

● وفى مجلة (تايم) الصادرة يوم ٩ ديسمبر ١٩٨٩ م تقول هذه المجلة تحت عنوان (أطفال تحملن أطفالا) :

فى كل عام تحمل أكثر من مليون بنت أمريكية مراهقة - المراهقات فقط وبين كل خمس منهن تحمل أربع منهن سفاحا .. !

وفى تقرير لابنة الرئيس السابق ريجان واسمها (مورين) : أن فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر مليونا من الأطفال لا آباء لهم ! !

● وفى مجلة (تايم) العدد رقم ٣٣ لسنة ١٩٩١ م تقول المجلة : إن عدد المصابين بالشذوذ الجنسى من بين أفراد القوات المسلحة الأميركية يتراوح بين مائة ألف ومائتى ألف من الجنسين ! ! !

● وفى الولايات المتحدة تقع جريمة فى كل خمس ثوان .. وفى كثير من المدن لا يخرج أحد من بيته بعد غروب الشمس خشية السرقة أو القتل .

● وفى العدد نفسه وفى صفحة ٤٣ تقول المجلة :

إن عددا كبيرا من الكرادلة - من كبار رجال الكنيسة الكاثوليك - يمارسون الشذوذ الجنسى فيما بينهم .. ! ! !

● وقد نشرت صحيفة (سيدنى مورننج هيرالد) - الاسترالية - تقريرا خطيرا عن الشذوذ الجنسى ومباركة رجال الكنيسة له ، بل إن مقر هؤلاء الشواذ يقع فى (الكنيسة المتحدة) التى قدمت كل التسهيلات إلى هؤلاء الشواذ تحت رعاية رئيس الكنيسة الذى صرح بأنه من أشد المعجبين بهؤلاء الشواذ و يعتبر نفسه واحدا منهم .. ! ! !

● وفى هولندا.. عقدت الكنيسة زواج رجل برجل مادام هذا يحقق السعادة لكل منهما .. ! ! !

● وفى تقرير لصحيفة (الديلى ميل) البريطانية ، أن الإحصائيات تشير إلى أن ٨٠٪ من الرهبان يمارسون الزنا وأن ٤٠٪ منهم شواذ .. !

● وفى صحيفة (وول ستريت جورنال) بعددها الصادر يوم ١٧ إبريل ١٩٩٣ م كتبت تقول هذه الصحيفة :

(إن إحدى السيدات ارتكبت ١٥٥ جريمة جنسية ، وكان من بين ضحاياها عشرون طفلا فى روضة أطفال تابعة لإحدى الكنائس .. ! ! !

وكان مبنى روضة الأطفال يقع فى الكنيسة نفسها التى نادرا ما تخلو من المصلين .. وقد أصدرت المحكمة حكما يقضى بسجن السيدة مدة ٤٧ عاماً ..)

وفى الولايات المتحدة يوجد ٠٠٠ ر٠٠٠ ر ٢٥ (خمسة وعشرون مليونا) من مدمنى المخدرات بلغ ما ينفقونه فى العام الواحد ٠٠٠ ر٠٠٠ ر٠٠٠ر١٨٥ مائة وخمسة وثمانين مليارا من الدولارات !

وتشير تقارير منظمة الصحة العالمية لهذا العام إلى أن معدلات الحوادث فى الولايات المتحدة فى تزايد مستمر على مدى الـ ٣٠ عاما الماضية ، والمعدل المرتفع لحوادث القتل فى أميركا الذى يصل إلى أضعاف الدول الغربية الأخرى يجعل واشنطن تفوز بلقب (عاصمة القتل فى العالم) .

وفى أوساط المراهقين والعاطلين انتشرت الأسلحة بشكل رهيب ، ويتيح الدستور الأمريكى حرية امتلاك الأفراد للأسلحة .. وقد تزايدت أعداد المقبوض عليهم المراهقين لارتكابهم جرائم عنف ..

ويشير مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى أن أكثر من ٣٢٠٠ شخص تحت ١٨ سنة قتلوا عام ١٩٩١ م . وأن حوالى ٦ ألاف شاب يقتلون كل عام فى أميركا .. وتفيد تقارير وزارة العدل الأميركية أن مليون شاب تتراوح أعمارهم بين ١٩ و١٢ سنة تعرضوا للاغتصاب ، أو السرقة ، أو اغتيلوا بواسطة من هم فى مثل سنهم .. وذلك خلال الفترة من عام ١٩٨٧ م إلى ١٩٩١ م ويؤدى اللهو بالمسدسات والأسلحة النارية إلى وفاة فرد من كل أربعة أفراد فى صفوف الأميركيين فى العشرينات من العمر حسب ما جاء فى إحصاء المركز القومى للإحصائيات الصحية ..

وتقدر بيانات الرابطة القومية للتعليم أن هناك ١٠٠ ألف طالب يذهبون إلى المدارس وهم يحملون المسدسات .

ومن نيويورك إلى لوس أنجلوس .. ومن شيكاغو إلى ميامى تنتشر عصابات الأحداث .. ويبلغ عدد الأحداث الصغار الأعضاء فى العصابات فى مدينة لوس أنجلوس وحدها أكثر من خمسين ألف مجرم .. ويزيد عدد العصابات فى مدينة كاليفورنيا وحدها على ٦٠٠ عصابة ، وكل عصابة فى العادة تختص بمنطقة معينة ، وتحمى مجال نفوذها من اعتداء العصابات الأخرى ويستغل الأحداث عادة فى تجارة المخدرات - الأكثر ربحا - وتجارة الكوكاكين من أكبر برامج التوظيف لشباب المدن فى الولايات المتحدة الذين لا يجدون عملا .. بل يقدر عدد الأطفال الذين يذهبون للنوم وهم جوعى بحوالى ١٣ مليونا .. وبمجرد انضمامه إلى العصابة يجد من الصعوبة عليه التخلى عن حياة الترف بالمقارنة مع البطالة أو العمل الذى لا يوفر غير أجر محدود فقط ..

ولم يتوقف العنف فى أمريكا عند الأطفال .. بل امتد إلى الفتيات أيضاً .. وتشير الإحصائيات إلى أن ١٥٪ من الجرائم التى ارتكبتها الفتيات كانت جرائم عدوانية ...

وفى عام ١٩٩٢ م ارتفع الرقم إلى ٢٨٪ وقد اقتحمت الفتيات عالم الإجرام الذى كان مقصورا على الرجال لفترات طويلة .. حيث تم تشكيل العديد من عصابات النساء .. والملفت للنظر أن تلك العصابات تظهر قدرا من العنف لا يقل عن عنف الأولاد ، وهن يرتكبن كافة الجرائم ، ويقمن بإطلاق النيران والطعن بالخناجر ، والقتل بلا أدنى تردد ..

ويحمل النظام الأمريكى تراثا بالغ العدواة تجاه الفتيات .. فهن عرضة أولا للاغتصاب .. ويشير تقرير منظمة الصحة العالمية لهذا العام إلى أن ٢٠٪ من كل فتيات أمريكا يتعرضن لاعتداءات جنسية مرة واحدة على الأقل فى سن الطفولة وكذلك الضرب المتكرر من الشباب ..

وتعامل المرأة كمخلوق (درجة أدنى) على مستوى الأجور ، وفرص الترقى إلى وظائف أعلى .. ! !

وتقول إحدى الفتيات : إنها اضطرت إلى حمل المسدس فى مدرستها بعدما تغاضى ناظر المدرسة عن الاستجابة لشكواها بتكرار اعتداء الأولاد عليها بالضرب .. ! !

وفى الآونة الأخيرة صدرت ثلاثة كتب خطيرة فى الولايات المتحدة ... الكتاب الأول اسمه (اضطرابات وكوارث) لـ (بول كنيدى) ، والكتاب الثانى اسمه (حول التل الصخرى) لـ (جورج كينان) ، أما الكتاب الثالث فاسمه (نحن رقم واحد) لـ (أندرو شابيرو) .

فى هذه الكتب الثلاثة الصادرة فى أميركا والتى ألفها أمريكيون مخلصون حريصون على أميركا .. فى هذه الكتب الثلاثة يرى هؤلاء المفكرون أن بوادر انهيار الولايات المتحدة أصبح قريبا .. وقريباً جداً ! ؟

وقد نشرت صحيفة التايمز اللندنية فى عددها الصادر يوم الثالث والعشرين من أكتوبر لعام ١٩٩١ م مقالا تحت عنوان :

(لماذا لا يكون الله امرأة .. بدلا من أن يكون رجلا ؟ ! ! !)

إنى أستغفر الله من كتابة الكفر ! ! ! ولكنها الحقيقة المرة التى لا شفاعة فيها ولا عذر .. ! ! !

صحيح أنه لا يزال فى الغرب أفراد متدينون .. ولكنهم شواذ بين هذه الكثرة ..

وكما يقول (جون جنتر) فى كتابه (فى داخل أوروبا) .

إن الإنجليز يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الأسبوع .. ويذكرون الله فى الكنيسة يوم الأحد فقط .. ! ! !

فى نهاية عام ١٩٩١ م قال بعض (المحللين) (السياسيين) :

لقد انتهت الحرب الباردة وهذه النهاية تعنى نهاية الولايات المتحدة

إنها أمة فى حالة (انهيار) كما يقول المؤرخ البريطانى (بول كيندى) وقال أيضاً :

إن أمريكا لم تعد قادرة على فعل شىء للحفاظ على كيانها .. ومع لحظة الانتصار العظيم ستأتى الكارثة العظيمة أيضاً ! !

أما المفكر الأميركى (أندرو هاكر) فيقول فى كتاب له اسمه (أمتان لا أمة واحدة) : ومعنى ذلك .. أن الولايات المتحدة فى طريقها إلى الانقسام والتفتت وعلى نحو مفاجىء غير متوقع ...

ويقول المعلق التليفزيونى (جون تشاتسلر) :

إن هناك إحساساً بين الأميركيين بوجود خلل ما .. وعلى الناس أن يضعوا فى حسبانهم توقع سقوط الأمة الأميركية !

كما يقول أحد علماء الاقتصاد واسمه (بول كروجمان) .

إننا نعيش فى عصر أو فى زمن التوقعات المتلاشية .. ! ! وفى الوقت الذى ينفق فيه الشعب الأميركى سبعة مليارات من الدولارات سنويا على إطعام الكلاب وعلاجهم يوجد ٣٧ (سبعة وثلاثون) مليون

أميركى لا يتمتعون بنظام التأمين الصحى ، وإن ربع الأطفال ونصفهم من السود يعيشون تحت مستوى الفقر ، وفى دراسة إحصائية تبين :

أن مليونى أميركى يتركون مدارسهم الابتدائية قبل تعلم القراءة والكتابة سنويا ...

إنه لا أحد - فى الولايات المتحدة - حتى الرئيس ، آمن على نفسه ، والظلال السوداء التى بدأت تخيم على مصرع (جون كيندى) توحى بأن كل شىء ممكن فى أميركا وأن أكبر قوة عسكرية فى العالم لا تستطيع توفير الحماية لأكبر رأس فيها .. ؟ !

من كان يتخيل هذا التداعى السريع المتلاحق للأحداث فى العالم .. سقوط الشيوعية وانهيارها فى دول أوروبا الشرقية ، وسقوط حائط برلين ، واتحاد شطرى ألمانيا ، من كان يتصور سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى وتفكك هذا الاتحاد إلى جمهوريات مستقلة واختفاء القوة الثانية فى العالم ، ومن يتصور الآن النهاية المحتومة للولايات المتحدة الأميركية ؟ ...

إلى أين تتجه أميركا ؟ هل تذوى وتنحل ؟ هل تتحمل عمليات ترقيع وتصمد إلى أمد محتوم .. أم تضعف تدريجيا حتى تنتهى ؟ أم تتحول إلى الإسلام ؟ ..

منذ ٧٠ عاما نشر (أوزوالد شينجلر) بين مثقفى أوروبا نظرية تقول إن الحضارة الأوروبية - وقد بلغت يومئذ أوجها - قد وصلت إلى القمة التى لابد بعدها من التراجع أو الانحدار ...

وعندما سئل (شينجلر) منذ ٧٠ سنة متى تتوقع أن تتحقق نبوءتك

قال : قريباً ، ولما تنبأ (أرنولد توينبى) منذ نيف وخمسين عاما أن العالم ستحكمه قوى روحيه نابعة من الشرق لم يصدقه أحد يومذاك ، ومايزالون غير مصدقين لتوقعاته ..

وقد بدأ المجتمع الأمريكى يشعر بعوامل الضعف ، وتسلل إلى مثقفيه إدراك بأن ما يهددهم حقا هو الانحلال من الداخل .

إن الجريمة فى المدن الأمريكية تزداد انتشارا وعنفا سنة بعد سنة والمخدرات تنتشر بين كافة قطاعات المجتمع لا تفرق بين طبقة وأخرى .

ينتشر الشعور فى كل أنحاء أميركا - بطولها وعرضها - أن الحياة صارت جديرة بالازدراء ، وباهظة التكاليف وغير آمنة ، وأن البلاد تعدت المرحلة التى يعتبرها (شينجلر وتوينبى) - والمؤمنون بتوقعاتهما- مرحلة النضوج ..

ويشير المفكر الصحفى (البستر كوك) إلى ظهور قرينتين تشيران إلى اقتراب الكارثة ..

(١) التحلل من كافة القيم .

(٢) عدم تمكن القانون والمحاكم من كبح جماح الانحدار السريع فى السلوك العام والقيم ووصولها إلى مستوى المسئولين عن الحفاظ عليها ورعايتها ، ويتوقع أنه إذا وصلت البلاد لنقطة اللاعودة فهناك أحد احتمالات ثلاثة :

(١) حرب أهلية تشعلها هيئة محلية أو عرقية أو اجتماعية أو دينية أو جميعها .

(٢) ظهور ديكتاتورية جبار يحكم البلاد بالحديد والنار رافعا راية

الحرية ومتشدقا بها .

(٣) عودة سريعة إلى نظام اشتراكى يقوم بتقريب الفوارق بين الطبقات التى يزداد فيها الغنى غنى والفقير فقرا ، مشابها للنظام الذى جاء به (فرانكلين روزفلت) منذ مايزيد على نصف قرن) (١) .

● ● ●

ياسيادة الرئيس

أذكر - قبل عشرين عاما بالضبط - أن زارنا فى إدارة الأزهر وفد من رجال الكنائس الأميركية يتكون من واحد وعشرين (قسا) وخمس سيدات .

بعد السلام والتحيات والقيام بواجب الضيافة وجه أحد (القساوسة) سؤالا أصاب الجميع بالدهشة والارتباك .. !

فقد قال القس موجها كلامه إلى شيخ الأزهر وكان الأمام الأكبر عبدالحليم محمود هو شيخ الأزهر فى ذلك الوقت .

- نريد أن نعرف منكم هل نحن القساوسة من أهل الجنة أو من أهل النار .. ؟ ؟ ! !

فأجاب الإمام الأكبر ردا على هذا السؤال :

- إن لكل وجهة هو موليها كما يقرر ذلك القرآن وحين يجمعنا الله يوم (القيامة) أو فى يوم (الدينونة) سيعرف كل منا مكانه إن كان فى (الجنة) أو فى (النار) .. ! ! !

إن لكل عقيدة تصورها فى (النجاة) و (الخلاص) فلماذا تتعجلون فى

---

(١) أحمد بهجت - الأهرام ١٩٩٢/٢/١٢ .

إصدار هذا الحكم بينما لا تزال هناك فرصة للتأكد من طريق (النجاة) أو الخلاص فى هذا اليوم ؟ !

لقد ابتسم الجميع من التخلص من هذا (الشرك) أو الوقوع فى هذا (الفخ) ... ! !

• • •

فجأة وقفت السيدة (اليانور) لتلقى (بقنبلة) أخرى على الشيخ !

لقد قالت السيدة (اليانور) موجهة سؤالها إلى شيخ الأزهر

• لماذا كان نصيب المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل ؟

ولماذا كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟

وهنا ابتسم الشيخ وأشار إلى كى أرد على هذا الوهم أو على هذا الزعم .. !

قلت للسيدة (اليانور) هل تعرفين قصة القاضى والأرملة ؟

إنها قصة معروفة فى (إنجيل لوقا) !

تقول هذه القصة التى يرويها (لوقا) على لسان المسيح عيسى ابن مريم :

كان فى بعض المدائن قاض لا يخاف الله ولا يهاب الناس وكان فى المدينة أرملة تأتيه تقول له : أنصفنى من خصمى وهو لا يفعل حتى جاء يوم بعد ذلك بكثير فقال الرجل فى نفسه :

ينبغى لى أن أنصف هذه الأرملة ، وأن كنت أنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس حتى لا تعود إلى بعد ذلك .

ألا فاسمعوا ما يقوله القاضى الظالم ثم انظروا :

أفلا ينصف الله الذين اختارهم من عباده ؟ وإن كان هو يتمهل فى إنصافهم إذ يصرخون نحوه ليل نهار ، إنى أقول لكم : إن الله يتعجل عندئذ فى إنصافهم . (١)

ولا أحب أن يكون موقفكم من الإسلام موقف هذا القاضى الظالم من الأرملة .. فلندع الحقائق وحدها تتكلم ، ولنصغ إلى صوت العدالة والحق حتى لا نجور ولا نظلم .

فإذا كان الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، ومنحها حقوقها كاملة غير منقوصة .. فلماذا التفرقة بينها وبين الرجل فى الشهادة ؟ وجعل له الرياسة فى شؤون البيت والأسرة ؟

وأعطاه ضعف ما تأخذ المرأة من التركة ... ؟

لقد بين القرآن الكريم (الحكمة) فى أن تقوم شهادة امرأتين مقام (٢) شهادة رجل واحد .

إن القضية هنا لا علاقة لها بأفضلية الرجل على المرأة ، ولا صلة بين هذه الشهادة وبين كرامة المرأة .

إن العلة هنا فى هذه (التفرقة) كما يقول القرآن الكريم هى النسيان .

(أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) والنسيان ينشأ هنا من أسباب كثيرة .

---

(١) لوقا : الاصحاح ١٨ .

(٢) أنظر فى هذا الموضوع / مركز المرأة فى الحياة الإسلامية د / يوسف القرضاوى صـ ١٦ وما بعدها مكتبة وهبة - القاهرة .

وانظر فى ذلك ايضا كتاب " فى محكمة التاريخ " للمؤلف . ط دار الشروق .. القاهرة

فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بهذه الأمور ومعرفة دقائقه وتفاصيله ...

وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية وسرعة استجابتها للمسائل العاطفية وهذه الطبيعة لا تنفصل عن المرأة ولا تتخلص منها مهما بلغت من التعليم والثقافة ...

وليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلا على أن المرأة تساوى نصف الرجل إنما هو إجراء روعى فيه كل الضمانات فى الشهادة سواء أكانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده .

ومن أجل الفرق فى نوعية العاطفة بين الرجل والمرأة ، قيل عن الرجل: إنه صاحب جلد ، وإن تحمله للشدائد والأزمات أكثر من تحمل المرأة إذ لا يستجيب للأزمة فورا ، ولا ينتقل بسرعة بسبب تلك الأزمة من حال نفسى إلى حال مقابل له ، قبل أن يفكر ويراجع عناصر الأزمة للخروج منها . فهو قبل الانتقال والتغير يفكر ويتروى فى تفكيره ، ومن يتعود التفكير والتروى فيه يكون صاحب ذاكرة قوية يراجع بها الأحداث فى غير خلط أو تشويش .

وشريعة الله عندما فرقت فى الشهادة بين الرجل والمرأة ، أسندت الاختلاف بينهما إلى خصائص الطبيعة البشرية لكل منهما ، وإن خلقا من أصل واحد ، لأن الفروق الفردية بين الذكور أو بين الإناث قائمة ، وكذلك الفروق النوعية بين الذكر والأنثى ، قائمة أيضاً .

ومن هذه الفروق النوعية فى جانب المرأة : عدم جلدها .. وسرعة تقلبها .. وقلة ترويها ومراجعتها ، وبالتالى : سرعة نسيانها أو قلة تذكرها .

وقد يوجد من النساء من تقوم شهادة إحداهن بشهادة ألف رجل ، ولقد يوجد من الرجال ألوف لا تقبل منهم شهادة أحد ..

ولكن القوانين والشرائع لا تخضع لهذه الاستثناءات الفردية وإنما تجيء القوانين والشرائع للأغلبية الساحقة من الناس .

ننتقل بعد هذا إلى حق الرجل فى رئاسة الأسرة وفى تقرير مسؤوليته عن جميع من فى البيت أولادا كانوا أو زوجا له ، وهو ما يسمى بقوامة الرجل على المرأة .

إن كل مجتمع مهما كان صغيراً لابد وأن يكون مسؤولا عنه أحد ولابد أن يدير أموره قائد كفء ...

ومن المعروف بداهة أن اختيار الرؤساء أو الوزراء لا يتم اعتباطاً أو مجاملة .. بل لابد من الكفاءة والخبرة .. والمقدرة ، والاستعداد الكامل لتحمل هذه المسؤولية .

فليس كل إنسان يصلح وزيرا .. وليس كل عامل يصلح مديرا ... فإذا قرر القرآن أن الرجل هو (القيم) والمسؤول عن الأسرة والبيت ، فإن ما يقوله القرآن هو ما يقوله كل عاقل وعاقلة فى هذا الكون ...

واختيارالرجل لهذه المهمة ليس مجاملة له ، أو محاباة لنوعه ، أنه وضع الشىء فى مكانه .. وتكليف الأصلح والأقدر لمباشرة مهمته .

والإسلام ينظر إلى الأسرة نظرة مقدسة ، إنها أهم (مؤسسة) فى الحياة البشرية ، بهذا تقول كل النظم ، وبهذا تقرر كل الدساتير والشرائع .

وقيادة الرجل لهذه المؤسسة قيادة ناشئة عن الواجبات المفروضة عليه تجاه المؤسسة ، وتجاه هذه الأسرة .

بل إن الرجل متفوق على المرأة حتى فى أخص الأعمال التى عرفت بها المرأة .

(فالمرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاما قبل فجر (١) التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها فى مساكن الأسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه ، ولكنها - بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين - لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذى يتفرغ لها بضع سنوات ، ولا تجاريه فى إجادة الأصناف المعروفة ، ولا فى ابتداع الأصناف والافتنان فى تنويعها وتحسينها ، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد العاملون فيه من بنات جنسها أو من الرجال .

وصناعة التطريز وعمل الملابس - كصناعة الطهى - من صناعات النساء القديمة فى البيوت ، ولكنها تعول على الرجال فى أزيائها ، ولا تعول فيها على نفسها ، وتفضل معاهد (التفصيل) التى يتولاها الرجال على المعاهد التى يتولاها بنات جنسها ، وكذلك تفضل معاهدهم على معاهد النساء فى أعمال التجميل والزينة عامة ، ومنها تصفيف الشعر وتسريحه واختيار الأشكال المستحبة لتضفيره وتجميعه ، وقد عنيت المرأة بألوان الطلاء منذ عرفت الزينة ، ولكنها لم تحسن من هذه الصناعة ما أحسنه الرجل فى سنوات قصار.

وفى النهاية نسأل أنفسنا هذا السؤال :

أيهما أجدر أن تكون وظيفته القوامة ، بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟

---

(١) عباس العقاد - المرأة فى القرآن - حقائق الإسلام - الناشر المؤتمر الإسلامى ١٩٥٧ .

فإذا كان الجواب البديهى هو الفكر ، فقد حلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير . فالرجل بطبيعته المفكرة لا المنفعلة ، وبما يحتوى كيانه من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته ، أصلح من المرأة فى أمر القوامة على البيت ، بل إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذى تسيره فيخضع لرغباتها بل تحتقره بفطرتها ولا تقيم له أى اعتبار . !

وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة ، أو بإدارة البيت ، فالرئاسة التى تقابل التبعة لا تنفى المشاورة ولا المعاونة ، بل العكس هو الصحيح فالرئاسة الناجحة هى التى تقوم على التفاهم الكامل والتعاطف المستمر وكل توجيهات الإسلام تهدف إلى إيجاد هذه الروح داخل الأسرة ، وإلى تغليب الحب والتفاهم على النزاع والشقاق .

وأسألك ياسيادة الرئيس كم امرأة أصبحت رئيسة أو ملكة فى تاريخ العالم ؟

وكم امرأة قادت الجيوش وأجادت فنون الدفاع والحرب ؟

وكم امرأة تفوقت فى مجال العلوم والاختراعات ؟

بل كم امرأة تركت أثرها فى تاريخ البشرية منذ نشأت هذه البشرية وحتى هذا اليوم ؟

بل كم امرأة نبغت فى تاريخ الثقافة والفكر أو فى مجال الفلسفة والأدب والشعر ؟

• • •

أما عن التفاوت بين نصيب الرجل والمرأة فى الميراث ، فالرد على هذه الشبهة أهون من غيره .

ونحن كمسلمين نعتز بهذا الحكم ونفخر بتطبيقه .. ولتقريب (الحكمة) من هذا التفاوت بين نصيب الرجل ونصيب المرأة أضرب مثلا :

توفى رجل وترك ابنا وترك ابنة ... إن نصيب الإبن سيكون الثلثين من هذه التركة ، أما نصيب البنت فسيكون منحصرا فى ثلث التركة فقط .

سنرى بعد ذلك ، أن هذا الابن الذى حصل على ثلثى التركة له زوجة قد أنجب منها ولدين أو ثلاثة .

إن هذا الرجل الذى ورث ثلثى التركة ، ملزم بالإنفاق على زوجه وعلى أولاده الثلاثة .

فإذا كان له بعد ذلك أقرباء يحتاجون إلى رعايته فإن الإسلام يفرض عليه لهؤلاء الأقرباء نفقة يدفعها إليهم ويلزم برعايتهم وحتى هذه الأخت التى ورثت التركة فإن الإسلام يلزمه بالإنفاق عليها فى حال الضرورة والحاجة ..

ومعنى هذا كله أن نصيب الابن من الميراث وإن كان ضعف نصيب الإبنة ، فإنه ينفق علي كل هؤلاء الذين يعيشون فى بيته ، وعلى المحتاجين من إخوته وأقاربه .

أما البنت التى ورثت ثلث هذه التركة فإنها تحتفظ بهذا المال ولا تحتاج لإنفاقه ، لأنها إذا تزوجت فإن نفقتها ومطالب حياتها واجبة على هذا الرجل الذى تتزوجه ولا يسمح الإسلام لهذا الرجل أو الزوج بالاستيلاء أو

أخذ شيء مما تملكه .

ولو حدث ما يكره وهو الطلاق فقد ألزم الإسلام الرجل أن يدفع لها نفقة .. وهذه النفقة لا حد لها إنما تختلف باختلاف حالة الرجل وظروفه الاقتصادية (لينفق ذو سعة من سعته) (١) .

وأوجب لها الإسلام نفقة ثانية هى نفقة (المتعة) وهذه أيضا تختلف بظروف الرجل المالية .

(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) (٢) .

فإذا حدث وتزوجت بعد ذلك فبها ونعمت وإلا عادت إلى أخيها الذى ورث ثلثى التركة لتعيش فى رعايته ، إذا كانت فقيرة أو محتاجة .

ترى أى الفريقين أسعد حظا من الآخر بعد هذه المقارنة ؟

الابن الذى يعول أسرة ؟ أم البنت التى تستأثر بمالها كله ، وتعيش فى كنف غيرها ، أما كانت أم بنتا أم زوجا ؟

لقد كرم الإسلام المرأة بما لم تكرمها به أية شريعة أو حضارة ومنحها من الحرية والاستقلال ما لم تصل إليه المرأة الحديثة ، فحالة المرأة فى فرنسا مثلا كانت إلى عهد قريب أشبه بحالة الرق المدنى . فقد نزع منها القانون صفة الأهلية فى كثير من الشؤون المدنية ، كما تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسى إذ تقرر هذه المادة أن :

(.. المرأة المتزوجة – حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل

(١) سورة الطلاق : ٧

(٢) سورة البقرة : ٢٤١

بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليها موافقة كتابية ...) .

وبالرغم مما أدخل على هذه المادة من قيود وتعديلات - فيما بعد - فإن كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر . (١)

ولمزيد من الإيضاح حول هذه النقطة فلابد من إيراد هذا الحوار بين سيدة فرنسية شهيرة وبين إحدى المجلات العربية التى تصدر فى لندن .

فقد نشرت مجلة (الحوادث)وقائع هذه المقابلة التى ننقل نصها بالحرف عن هذه المجلة :

(هذا الحديث جرى معها على ارتفاع أحد عشر ألف قدم فى طائرة زوجها الذى كان يقوم بجولة انتخابية فى جنوب شرق فرنسا .

كان هذا الزوج هو (مسيو دوبريه) المرشح لرئاسة فرنسا .

وكانت معه زوجه فى الطائرة التى تم فيها إجراء هذا الحوار أو المقابلة . - ما رأى السيدة (دوبريه) فى مطالب المرأة الفرنسية وتذمرها مما هى فيه ؟

مدام دوبريه :

لا أجد المرأة متذمرة فى فرنسا فالذى حصلت عليه من الحقوق يضمن لها الحرية والاستقرار ...

- ولكن الجمعيات النسائية تقوم بمظاهرات كثيرة احتجاجا علي

---

(١) الأسرة والمجتمع ..د / على عبدالواحد وافي ص ١١٧ .

حرمانها من بعض الحقوق ؟

مدام دوبريه :

هناك دائماً أناس غير راضين مهما فعلنا ، ومعظم هذه المظاهرات تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة .. هذه المساواة غير موجودة وبالتالى لا يمكن تحقيقها مهما كثرت الادعاءات . !

فالرجل يختلف عن المرأة وهما لا يتساويان فى القدرات .. إن هذه مزحة قديمة لا أؤمن بها .. !

- أين هو مكان المرأة الطبيعى فى نظرك فى البيت أم فى المصنع ؟

مدام دوبريه :

أعتقد أن مكان المرأة هو البيت ... إن أفضل ما يمكن أن تفعله المرأة هو تربية أولادها .. ! ! !

- هل أنت مع ممارسة المرأة للعمل السياسى .... ؟

مدام دوبريه :

أنا ضد ذلك قطعاً ...

لأنى ألاحظ أن المرأة عندما تعمل فى السياسة تكون مواقفها دائماً متطرفة ... وأعتقد أن رقابتها على مشاعرها غير كافية لأنها حساسة جدا ولهذا فالسياسة صعبة جدا بالنسبة للمرأة ...) ! ! !

وإذا كان طلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة فكذلك العمل فريضة على الرجل المسلم والمرأة المسلمة ..

ولكن أي عمل ؟

هذا هو مربط الفرس ، وهذه بداية الخلاف فى وجهات النظر ، إن

أقدس عمل تقوم به المرأة عندنا نحن المسلمين هو ما يتفق مع الفطرة ... إننا لم نخلق فى هذه الحياة عبثا ، والخالق الأعظم زود كلا من الرجل والمرأة بخصائص تؤهل كلا منهما لوظيفته التى خلق من أجلها أصلاً ..

وقد بين الإسلام للرجل والمرأة مجالات عمل كل منهما ، وهذا التحديد لم يفرض على أى منهما قهرا ، ولكنها مجالات تحددها الفطرة ، وتحددها الطبيعة وتحددها بوضوح أكثر العلوم والدراسات الحديثة ..

والأسرة من وجهة نظر إسلامية هى المجال الأول لعمل المرأة ، إن بناء سفن الفضاء ، وصناعة البوارج والطائرات لا يعتبر شيئاً بالنسبة لبناء الإنسان الذى استخلفه الله فوق هذه الأرض ..

وقديما قال نابليون القائد الفرنسى المعروف :

إن المرأة التى تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها ! أما (العمل) بالصورة الماثلة أمام أعيننا فى (أميركا) أو فى (أوروبا) .

فلا أظن عاقلا أو منصفا يوافق على ما انتهت إليه المرأة فى هذه المجتمعات كلها ..

يقول (ألكسيس كاريل) :

(لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله المدرسة بتربية الأسرة استبدالا تاما .

ولهذا ترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن .. أو مطامعهن أو مباذلهن أو للعب البريدج ، أو ارتياد دور السينما ، وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل ، إنهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار ،

فيتعلم عنهم أمورا كثيرة .. إن الكلاب الصغيرة التى تنشأ مع أخرى من نفس عمرها فى حظيرة واحدة لا تنمو نموا مكتملا كالكلاب الحرة التى تستطيع أن تمضى فى أثر والديها . والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء ، لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى طبقا للقوالب الموجودة فى محيطه ، إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الأطفال فى مثل سنه ، وحينما يكون مجرد وحدة فى المدرسة ، فإنه يظل غير مكتمل . ولكى يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية ، واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة) (١) .

لقد وقفت أستاذة إنجليزية تقول في حفل تكريمها بعد أن بلغت الستين سنة تقول :

(ها أنذا قد بلغت الستين من عمرى ، وصلت فيها إلى أعلى المراكز نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى ..

وحققت عملا كبيرا فى المجتمع .. كل دقيقة كانت تأتى على بالربح حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال كثير ..

أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله ... ولكن ... هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات .. ؟

لقد نسيت فى غمرة انشغالى فى التعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة .. نسيت أن أتزوج ، وأن أنجب أطفالاً .. وأن أستقر .. إننى لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ٣١٨ - ٣١٩ .

استقالتى ، شعرت فى هذه اللحظة أننى لم أفعل شيئاً فى حياتى .. وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء ..فسوف أستقيل وسيمر عام على استقالتى وبعدها ينسانى الجميع .

ولكن .. لو كنت تزوجت ، وكونت أسرة ، لتركت أثرا أكبر وأحسن فى الحياة .. إن وظيفة المرأة الوحيدة هى أن تتزوج ، وتكون أسرة ، أى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها هى بالذات .... إنى أنصح كل طالبة تسمعنى أن تضع هذه المهام فى اعتبارها ، وبعدها تفكر فى العمل والشهرة (١) . ! ! !

ياسيادة الرئيس :

فى مؤتمر عقد فى مدينة (مرسيليا) وقفت نائبة فرنسية تتهم الإسلام بالتحيز ضد المرأة . ؟ !

وكانت المفاجأة فى هذا المؤتمر أن الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية هب واقفا وغاضبا ليرد على هذه الغربة وليصحح للنائبة الفرنسية أخطاءها التى وقعت فيها عن جهالة وسوء نية .

لقد قال الدكتور (عصمت) فى رده على هذه النائبة :

نحن نعتبر أنفسنا أصدقاء للغرب ، ولذلك نحرص على فهمه ، بينما هو لم يكلف نفسه عناء فهمنا ، أو الاقتراب من فكرنا ، والدليل علي ذلك هو ارتفاع أصوات بين وقت وآخر ، منها صوت هذه النائبة التى تنتقد الإسلام عن غير علم أو بصيرة وتصمه بتهم هو منها برىء !

(١) عن جريدة الأهرام الصادرة يوم ٢٩/٥/١٩٦١ .

واستطرد الدكتور عصمت يقول دون أن يفارقه غضبه (إن الإسلام الذى تتحدثين عنه ياسيدتى ، ليس هو إسلامنا الصحيح ، وإنما هو إسلامكم أنتم الذى صنعتموه لأنفسكم من محض افتراءات وأكاذيب لا علاقة لها بواقع الدين ولا بحياة المسلمين) .

وأرجو هنا أن تسمعى ما أقول لكى تصححى ما برأسك حول الإسلام وأهله ، فديننا الحنيف هو دين التسامح والتراحم والرأفة ، لكن المؤسف أنكم عندما تتحدثون عنه تتناسون ذلك ، ولا ترونه ، إلا من منظور الأصولية والتطرف وهو ما يجعلنى اتساءل :

- لماذا لم نسمع أحدكم - معشر الباحثين الأوروبيين - يتحدث عن الأصولية والتطرف عند الصرب الذين فتكوا بمسلمى البوسنة واستباحوا لأنفسهم من دمائهم وأعراضهم ما لايقره عقل أو دين أو منطق سوى الرغبة فى القتل ؟

أم أن الأصولية والتطرف والتعصب هى - فى شريعتكم المغلوطة - ليست إلا من نصيب الإسلام والمسلمين فقط ؟ !

لا ياسيدتى - الإسلام الصحيح ليس هو ما تتحدثين عنه ، فالمرأة المسلمة تنعم بكل الحقوق التى ينعم بها الرجل سواء بسواء فهى فى دولة مثل مصر بلدى - عضوة فى البرلمان ، ووزيرة فى الحكومة (توجد وزيرتان الأولى مسيحية والثانية مسلمة) ..

والجامعات المصرية تعج بآلاف الطالبات .. وقد لا تعلمين أن أكثر من نصف طلاب كلية الطب بجامعة القاهرة مثلا من البنات المتفوقات وحفيدتى أستاذة بنفس الكلية ولم يمنعها ذلك من أن تواظب على أداء

الصلوات الخمس يوميا .

ولأنني يا سيدتي النائبة ، كنت لسنوات وزيرا لخارجية مصر ، فاسمحي لي أن الفت أنتباهك إلى أن هناك نساء سفيرات لمصر في بلاد كثيرة منها أوغندا في إفريقيا واليابان في آسيا ، بل إن منصب القنصل العام المصري في مرسيليا التي تحتضن مؤتمرنا هذا .. تشغله سيدة مصرية . ! ثم ألم تسألي نفسك يوما : إذا كان الدين الإسلامي بهذه الدرجة من التخلف الذي تتحدثين عنه ، فلماذا ولجه - طائعاً مختارا - رجل بحجم الفيلسوف الفرنسي (روجيه جارودي) ولماذا سلخ رجل آخر بوزن شيخ المستشرقين (جاك بيرك) - أكثر من نصف قرن من عمره باحثا ومنقبا في علومه ومعارفه .

لا ياسيدتي النائبة ، لقد خانك ذكاؤك العلمي والبحثي فالإسلام الصحيح هو بكل تأكيد - شئ آخر لا علاقة له بكل ما يدور في رأسك عنه . ؟ !

ومرة أخرى أكرر أن الفرق بيننا وبينكم أننا عندما نتحدث عن أوروبا والفكرالأوروبي إنما نتحدث عن معرفة وخبرة ، وقراءات طويلة بعيدا عن كل أشكال العقد والحساسيات .. ولا نخجل من أن نسجل إعجابنا بما نرى ، وقديما قال الإمام محمد عبده المفكر الإسلامي المستنير عندما زار باريس في نهايات القرن الماضي :

لقد وجدت في أوروبا مسلمين ولم أجد إسلاما ويقصد بذلك أن سلوكيات الأوروبيين التي لمسها بنفسه ، لا تكاد تختلف عن السلوكيات التي دعا إليها الدين الإسلامي في الحياة والتعامل ..

فكأنه كان يعيش مع مسلمين . !

وأخيراً - سيدتى النائبة - نحن أبناء دين سمح ، ينشد السلام مع النفس ، ومع البشر على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ، ونمد أيدينا إليكم عن فهم ووعى كاملين ، فليس أقل من أن تمدوا إلينا أيديكم ، وتفتحوا لنا قلوبكم بنفس الدرجة من الفهم والوعى الصحيحين بديننا وحياتنا. !!

• • •

ياسيادة الرئيس :

لقد زارت كاتبة أميركية اسمها (هيلين ستانبرى) البلاد الإسلامية والعربية فقالت :

إننى أطالبكم بالحفاظ على تقاليدكم التى تنظم العلاقات بين الفتاة والشاب طبقا لتعاليم الإسلام ...

إن مجتمعكم يختلف عن المجتمع الأميركى فعندكم تقاليد موروثة تفرض على الابن احترام الأب واحترام الأم على خلاف ما نراه فى بلادنا من إباحية وفجور وفوضى ...

بل إنه خير لكم أن تعودوا إلى عصر الحجاب .. فهذا خير لكم من مجون وإباحية أميركا وأوروبا .. ! ! !

إمنعوا الاختلاط ، أكررها مائة مرة لكل فتى وفتاة .. فقد عانينا منه فى أميركا الكثير ، وأصبح المجتمع الأميركى مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة .. وضحايا هذا الاختلاط يملأون السجون والأرصفة والبارات وبيوت الدعارة .. !!

والعجيب بل والغريب أيضا .. فى أوروبا وأميركا .. أن الفتاة

الصغيرة تلهو وتلعب وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها .. تتحداهم باسم الحرية .. وباسم الإباحية .. وباسم الاختلاط والفوضى ..

تتزوج فى دقائق ... (١)

ثم تطلق بعد ساعات ..

ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء على ورقة .. ودفع عشرين سنتا وعريس لليلة واحدة .. أو لبضع ليالى .. ! ! !

ثم يأتى الطلاق .. وربما الزواج .. ثم الطلاق مرة أخرى .. ! ! !

● ● ●

لقد سيطرت المادة على كل شيء .. وتحول الإنسان إلى (ترس) فى آلة شرسة ضخمة ... وأفلست الكنيسة فلم يبق من مراسيمها إلا صور باهتة على جدرانها الخرساء .. ! !

لقد تحولت إلى مغارة .. (مغارة لصوص) كتلك المغارة التى هدمها المسيح قبل ذلك .. على الثعالب والذئاب .. ! !

ياسيادة الرئيس :

فى نهاية هذا (الحوار) سأل أحد القساوسة سؤالا عن الحرب (المقدسة)

كما تقولون أو (الجهاد) كما نقول نحن المسلمين .

ولا أحد فى هذا العالم ياسيادة الرئيس يرضى بإراقة الدماء والقتل .

إن قتل نفس واحدة كما يقول القرآن يعنى قتل جميع البشر ، وإراقة

---

(١) انظر كتابنا (فى محكمة التاريخ) - دار الشروق - القاهرة .

دم إنسان واحد يتساوى مع قتل جميع الناس فى مختلف أقطار الأرض.
ولكن حين تفرض عليك هذه الحرب فلا مناص إذن من هذه الحرب . ولا مفر من القضاء على قوى الطغيان والشر ، يقول الله عز وجل :

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (١).

وكما يقول (توماس كارليل) (٢) فى كتابه عن (البطل) فى صورة نبى :

لقد كانت (نية) هذا النبى العظيم أن ينشر دينة بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد بذل فى سبيل ذلك كل جهد جهيد ، ولكنه وجد أن الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء اليها ، بل عمدوا إلى إسكاته بشتى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته .

وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوته وكأن لسان حاله يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلتنظروا إذن أي قوم نحن ..

لقد أصاب هذا الرسول فى رأيه ، فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق والصدق وأبوا إلا التمادى فى الباطل ، فاستباحوا الحرمات ونهبوا الممتلكات ، وقتلوا الأنفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق .

واستطرد (توماس كارليل) يرد على القائلين بأن هذا النبى نشر دينه

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦ .

(٢) كتاب الأبطال – توماس كارليل ، ترجمة محمد السباعى .

بحد السيف فيقول :

أرى أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال ... ألم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانا ، وحسبكم ما فعله شارلمان بقبائل السكسون ... وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان ، أم بأية طريقة أخرى ، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ... لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فإنها لن تهزم أبدا .. ولن يهزم منها إلا ما يستحق أن يهزم .. . ولا يفنى منها إلا ما يستحق الفناء .

فحبوب القمح عندما نأخذها إلى باطن الأرض ، وكثيرا ما تكون مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب ، فاذا ألقيتها وهى مختلطة بكل هذه الشوائب فى جوف الأرض العادلة البارة ، فإنها لا تعطيك إلا قمحا خالصا نقيا ، أما الشوائب والقذى فإنها تبتلعه فى سكون وتدفنه فى باطنها دون أن تذكر عنه شيئاً ... وما هى إلا فترة حتى نرى القمح ناميا يهتز كأنه سبائك الذهب .

هكذا الطبيعة فى جميع شؤونها فهى حق لا باطل ، ولا تشترط فى الشئ إلا أن يكون صادقا حرا ... فإذا كان كذلك حمته وحرسته وصانته وقوته وإذا كان غير ذلك تنكرت له وتركته بلا حماية ولا صيانة لهذا نرى لكل شئ تحميه الطبيعة روحا من الحق والصدق ، أليس شأن حبوب القمح هذه شأن كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا الوجود أو ستجىء إلى هذا الوجود ؟ ...

فالحقائق تأتى إلى معترك الحياة ، ثم يجىء يوم يظهر فيه نقصها

وخطؤها فتموت وتذهب ... نعم يموت جسم كل حقيقة ويذهب ، ولكن الروح تبقى أبدا ، كل ما هنالك أن الروح يتخذ ثوبا أطهر وبدنا أشرف .

ياسيادة الرئيس :

إن المادة الأولى فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة تنص (١) علي ضرورة (حفظ السلام والأمن الدوليين وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم ولإزالتها وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم) .

وقد جاء فى مقدمة ميثاق الهيئة تأكيد إيمان الشعوب الموقعة على هذا الميثاق : بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

كما جاء فى المادة الثالثة والأربعين من ميثاق هيئة الأمم ما يلى بالنص : (يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة الضرورية لحفظ السلم والأمن الدوليين وتشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها إسداء المشورة والنصح المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية ، ولاستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه - المادة ٤٧ - .

كما يتضافر أعضاء الأمم المتحدة على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التى قررها مجلس الأمن - مادة ٤٩ -)

لو أردنا تبسيط هذه المواد فى عبارات موجزة فسنرى أنه من اختصاص هيئة الأمم التدخل بالقوة للقضاء على مظاهر الظلم والعدوان والتفرقة

(١) نقلا عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

فى أى مكان من الدنيا .. كما أنه يبيح لهيئة الأمم التدخل للقضاء على الأنظمة التى تعتمد فى حكمها على القمع والقهر لشعوبها .. ! ؟

أليس هذا هو ما فعلته الأمم المتحدة وتذرعت به فى حرب فيتنام وكوريا ؟ وأليس هذا هو ما فعلته الأمم المتحدة فى العراق ؟ أليس هذا ياسيادة الرئيس ما قمتم به وفعلتموه فى هاييتى وبنما ، وجرانادا ؟

أليس هذا هو ما فعلته قوات الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ...

إننى لاأزال أذكر هذا اليوم الذى أطلق عليه اسم (أطول يوم فى التاريخ) (THE LONGIST DAY IN HISTORY)وهو يوم نزول قوات الحلفاء إلى أرض فرنسا فى منطقة (نورماندى) وقد شاهدت عمليات هذا الإنزال فى (فيلم) أطلق عليه اسم هذا اليوم نفسه ، كما شاهدت فى بريطانيا أيضا هذا المسلسل الذى أطلق عليه اسم (العالم فى حرب) (WORLD AT WAR)..

إن الشىء الذى لفت نظرى فى الفيلم الأول ، وفى هذا المسلسل هو استقبال الشعوب لهذه القوات .. كان الرجال والنساء والأطفال يلقون الزهور على الدبابات وعربات جر المدافع الثقيلة .. كما كانت الفتيات يصعدن إلى ظهور الدبابات ليعانقن جنودها فى فرح ونشوة .. لقد ذهبت إلى غير رجعة طغمة الشر وانحسرت موجة الطغيان والظلم .. !

وهذا هو (الجهاد) الحقيقى الذى يريده الإسلام ، جهاد ضد الطغاة الذين يعتبرون الشعوب قطيعا من الغنم . !

وجهاد ضد (البغاة) الذين لا يعترفون لإنسان بأى حق .

وجهاد ضد (الظلم) الذى لم يترك إنسانا واحدا آمنا فوق هذه الأرض

وجهاد ضد (الفساد) الذى فشا وانتشر حتى فى دور (العبادة) و(بيت الرب) .. !

وجهاد ضد (الإذلال) الذى جعل الحياة جحيما يصطلى الناس بناره دون سبب واحد يبرر هذا الإذلال أو هذا القهر .

(جهاد) يحرم قتل الطفل .

(وجهاد) يحرم قتل الضعيف أو الشيخ .

جهاد يحرم قتل المرأة ويحترم دور العبادة .

جهاد يحرم قطع شجرة ! وجهاد يحرم التمثيل بالقتلى ويأمر برعاية الجرحى والرفق بالأسرى .

بل جهاد يحرم قتل شاة أو بقرة إلا فى حالة الضرورة القصوى ، وللحفاظ على حياة الجياع من الجرحى أو الأسرى .. !

جهاد يستهدف السلام والعدل .. وإقامة دولة الإخاء والمساواة فوق هذه الأرض ... ! ! !

هذا هو (الجهاد) أو الحرب المقدسة - كما قلت - فماذا عن (الجهاد) أو (الحرب) فى كتابكم المقدس .. وماذا تقول هذه الكتب التى يؤمن بها كل يهودى أو مسيحى مخلص .. ؟

(... حين تقترب من مدينة كى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك أبوابها فكل الشعب المولود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك - هذا اذا سلمت المدينة ولم تحارب .. ؟ !

وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها .. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك .. فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . ! ! !

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمتك تغتنمها لنفسك .. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة .. فضربا تضرب بحد السيف .. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار ، فتكون تلا إلى الأبد ولا تبنى بعدى .. !

إن العهد القديم يوصى بحرب الإبادة ، الإبادة التى لا تبقى فى ديار الأعداء إنسانا ولا حيوانا .

إنهم يسفكون هذه الدماء ، لا على أنها جرائم ، بل على أنها قربات يطلبون بها رضوان الرب . ؟ !

فى الإصحاح السادس من سفر يشوع (وكان فى المرة السابعة ، عندما ضرب الكهنة بالأبواق ، أن يشوع قال للشعب : اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة (١) ، فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب ...

وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيماً ، فسقط السور فى مكانه ، وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة ، وحرموا (٢) كل ما فى المدينة من رجل ، وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها) . ! ! !

وفى الإصحاح الثامن (فقال الرب ليشوع : مد المزراق الذى بيدك نحو (عاى) لأنى بيدك أدفعه ..

---

(١) أريحا .

(٢) قتلوا .

فمد يشوع المزارق الذى بيده نحو المدينة .

فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ، ودخلوا وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار . ؟ !

ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة ، وأن دخان المدينة قد صعد ، انثنوا وضربوا رجال عاى .

وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا فى وسط إسرائيل ، هؤلاء من هنا وأولئك من هناك ، وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت . !

وأما ملك عاى فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع .

وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان (عاى) فى الحقل ، فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جيعا بحد السيف حتى فنوا ، أن جميع إسرائيل رجع إلى (عاى) وضربوها بحد السيف .

فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا جميع أهل (عاى) .

وفى الإصحاح العاشر :

(ثم اجتاز يشوع ، وكل إسرائيل معه ، من (لخيشا) إلى (عجلونا) فنزلوا عليها وحاربوا ، وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وحرم كل نفس بها فى ذلك اليوم ...)

(فضرب يشوع كل أرض الجبل ، والجنوب والسهل ، والسفوح وكل ملوكها ، لم يبق شاردا بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل) .

وفى الإصحاح الحادى عشر :(.. ثم رجع يشوع فى ذلك الوقت ، وأخذ (حاصور) وضرب ملكها بالسيف ، لأن (حاصور) كانت قبلاً رأس

جميع تلك الممالك وضربوا كل نفس بها بحد السيف ، حرموهم ، (١) ولم تبق نسمة ، وأحرق (حاصور) بالنار .. ! !

فأخذ (يشوع) كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف حرمهم كما أمر موسى عبد الرب .

لم تكن مدينة صالحت بنى إسرائيل إلا (الحويين) سكان (جبعون) بل أخذوا الجميع بالحرب ، لأنه كان قبل الحرب أن يشدد قلوبهم ، حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة ، فيحرموا ، فلا تكون عليهم رأفة ، بل يبادروا كما أمر الرب موسى ..) .

إن هذه التعاليم الإلهية فى نظراليهود والنصارى هى أساس الصلات بين المؤمنين وخصومهم .. هى التدمير للذى يسقط جثة الأب ، إلى جوار ولده ، إلى جوار امرأته ... ثم يهدم البيت فوق الجميع .

هذه هى المبادىء ، والأسس التى يصدر عنها رجال لا يستحيون من اتهام الإسلام بأنه انتشر بالسيف (٢) .. ؟ ؟

ألم يقل المسيح عليه السلام بالنص :

(لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض .. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ... فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها .. وأعداء الإنسان أهل بيته ... من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى .. ومن أحب إبنا أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى .. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ... ومن وجد حياته يضيعها

---

(١) أى قتلوهم .

(٢) التعصب والتسامح للأستاذ الشيخ محمد الغزالى .

... ومن أضاع حياته من أجلى يجدها ... من يقبلكم يقبلنى يقبل الذى أرسلنى) (متى ١ : ٣٤ - ٤٠) .

ثم قال لهم أي (المسيح) حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ،ولا أحذية هل أعوزكم شيء ؟ فقالوا لا . فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترى سيفا .

لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فى أيضا هذا المكتوب وأحصى مع أثمه لأن ما هو من جهتى له انقضاء فقالوا يارب هوذا هنا سيفان ، فقال لهم يكفى (لوقا ٢٢ : ٣٥ - ٣٨) ...

(لأنى أقول لكم) (١) ... إن كل من له يعطى ...

ومن ليس له ... فالذى عنده يؤخذ منه :

أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى ..) .. (لوقا الإصحاح الحادى عشر) .

● ● ●

لقد قتل فى (هيروشيما) و (نجازاكى) أكثر من ثلاثمائة ألف .. ومن بقى علي قيد الحياة بقى فى انتظار الموت الذى لم ينج منه كائن حى . ! فى مجلة (تايم) TIME وعلى صفحتها الأولى من الغلاف كانت أول كلمة نطق بها الكابتن (روبرت لويس) ROBERT Luis بعد إلقاء القنبلة الذرية على مدينة (هيروشيما) Hiroshima فى السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

---

(١) لقد ورد هذا النص على لسان المسيح عليه السلام فى مجال ضرب الأمثال للذين لا يلتزمون قواعد الإيمان والأخلاق ، وضرب المثل لا يكون إلا فى حال الاستشهاد بالمعنى الوارد فى هذا المثل .

كانت أول كلمة قالها ذلك الضابط

O, MY GOD !! What have we Done ?

يا إلهى .. ما هذا الذى فعلنا ؟ ! ! !

إن ما حدث كان شيئا رهيبا .. ومفزعا ..

وكما يقول شاعر يابانى كان فى الحادية عشرة من عمره عند وقوع هذه الكارثة : كان يوما قاتما دميم الوجه .. ! كل شيء فيه أسود كلون اليأس .. ! ! السماء والناس والأرض ..

حتي الخضرة ..

كساها لون من السواد الداكن .. ..

لقد أصبح النصر بعيدا .. بل مستحيلا ..

وفجأة ..

في اليوم السادس من أغسطس ..

اشتعلت السماء بوهج أصفر برتقالى اللون ..

لقد بدأت النهاية ..

واحترق كل شيء فوق اليابسة ..

لقد انتصر الشيطان فى معركته الأخيرة .. ! ! !

• • •

فى زيارة قمت بها إلى لندن ... احتبسنى المطر فى الفندق .. لم تكن القراءة ممكنة.. كما لم تكن نفسى مهيأة لهذه القراءة ، وبلمسة أصبع .. بدأ التلفزيون يبث برامجه من خلال القناة الرابعة ...

SHALL WE PASS OR SHALL WE DIE ?

كان أول ما وقعت عليه عيناى من خلال الشاشة سؤال ينضح كآبة ووحشة .. سنحيا أم سنموت ؟

ماذا يجرى فى هذه الدنيا ؟ هل عاد هتلر إلى الحياة مرة ثانية ؟

أم بدأت الحرب العالمية الثالثة ؟

ثم ماذا يعنى هذا السؤال المثير للكآبة والوحشة ؟

لقد كان هذا السؤال عنوانا لفيلم تسجيلى عن قنبلة هيروشيما ونجازاكى .

لم يكن هذا الفيلم تمثيلا .. بل كان حقيقة وواقعاً ..

فمنذ اللحظة الأولى لتحرك الطائرات القاذفة .. والكاميرا تسجل ذلك خطوة .. خطوة .. لقد تصورت أن هذه الطائرات ستلقى بحمولتها فوق الفندق ، وتوقعت انفجارا نوويا فى قلب لندن .. !

نموت أو نحيا ؟ هذا هو السؤال الذى يشغل العالم كله ... وللعالم بحق - أن يعرف هذا المصير الذى ينتظره .

إن ما يبلغ مجموعه ... ر٥٠ خمسين ألف قنبلة ذرية يوجد فى مخازن الدول الكبرى ...

إن هذا المخزون يكفى لتدمير العالم أربع مرات ونصف مرة .. وإن نصيب كل فرد فى العالم من هذه الأسلحة هو أربعة أطنان من الديناميت والمواد الناسفة ! !

وهذه الحرب النووية قد تشتعل فجأة ... ومهما قيل عن الاحتياطات التى اتخذت لمنع وقوع الكارثة ، فالكل يعلن ويؤكد احتمال وقوع هذه الحرب فى أية لحظة . ؟ !

فهل من الممكن حقا أن تنشب هذه الحرب فجأة ؟

والجواب :

نعم ، وقد كادت هذه الحرب تنشب بسبب إنذارات كاذبة .. وقد تكرر هذا أكثر من مرة ... ولسوف يتكرر هذا الخطأ مهما تكن الاحتياطات التى تتخذ لمنع وقوع هذه الكارثة ...

كم مات فى الحرب العالمية الأولى ؟ .ياسيادة الرئيس .. ؟

لقد قتل حوالى ١٠ عشرة ملايين فى هذه الحرب ؟

وكم مات فى الحرب العالمية الثانية ؟

لقد قتل حوالى ٨٠ ثمانين مليونا فى هذه الحرب ؟

وكم مات فى محاكم التفتيش ؟

لقد قتل وذبح وحرق حوالى ١٢ اثنى عشر مليونا بلا جريرة ولا ذنب .

وكم قتل فى حروب إقليمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ؟

لقد قتل حوالى ٢٥ خمسة وعشرين مليونا فى شتى أنحاء الأرض ...

يذكر بريفولت أن تقدير المؤرخين للناس الذين قتلتهم المسيحية فى انتشارها - أى فى أوروبا - يتراوح بين سبعة ملايين كحد أدنى وخمسة عشر مليونا كحد أعلى ..

إن فظاعة هذا العدد تتضح لنا عندما نذكر أن عدد سكان أوروبا آنذاك كان جزءا ضئيلاً فقط من سكانها اليوم ...

وكان الذين يقومون بتلك العمليات الوحشية يزعمون لأنفسهم أنهم يتقربون إلى الله وينفذون إرادته ، ويعجلون لأعدائه بعض النقمة التى تنتظرهم فى الآخرة .. ! !

وقد عبرت عن ذلك ملكة إنجلترا (الكاثوليكية) فى القرن السادس عشر حين أعلنت مرة :

بما أن أرواح الكفرة سوف تحرق فى جهنم أبدا .. فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهى بإحراقهم على الأرض .. ! !

ومن العجيب أن (البروتستانت) حين قويت شوكتهم لم يكونوا أقل وحشية منهم .. من الكاثوليك .

لقد قال (لوثر) LUTHER لأتباعه :

(من استطاع منكم فليقتل .. فليخنق .. فليذبح سرا أو علانية .. أقتلوا واذبحوا ما طاب لكم .. هؤلاء الفلاحين الثائرين ..) ! ! !

إن (شارلمان) هو الذى فرض المسيحية على (السكسون) بحد السيف .. والملك كنوت (١) هو الذى أباد غير المسيحيين فى الدنمارك .

وجماعة (إخوان السيف) هى التى فرضت المسيحية فى بروسيا .. !

والملك أولاف ذبح كل من رفض اعتناق المسيحية فى النرويج .. قطع أيديهم وأرجلهم ، ونفاهم ، وشردهم حتى انفردت المسيحية بالبلاد .. !

وفى روسيا فرض فلاديمير عام ٩٨٨ م المسيحية على كل الروس .. سادة وعبيدا .. أغنياء وفقراء .. غداة اعتناقه لها .. ولم يعترف فيها بإمكانية تعدد الأديان إلا فى مرسوم صدر عام ١٩٠٥ م (٢) .. ! ! !

وفى الجبل الأسود - بالبلقان - قاد الأسقف الحاكم دانيال بيتروفتش عملية ذبح غير المسيحيين - بمن فيهم من المسلمين - ليلة عيد الميلاد

---

(١) الغزو الثقافى وهم أم حقيقة - د / محمد عمارة ..

(٢) أنظر مجلة (تايم) العدد ١٥ أبريل ١٩٨٨ م تحت عنوان : الله والإنسان فى الاتحاد السوفييتى .

عام ١٧٠٣ م .(١)

وفى المجر أرغم الملك شارل روبرت غير المسيحيين على التنصر أو النفى من البلاد عام ١٣٤٠ م .. !

وفى إسبانيا - قبل الفتح العربى - كان المجمع السادس فى (طليطلة) قد حرم كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكى .. وأقسم الملوك على تنفيذ هذا القانون بالقوة .. !

وقتل جستنيان الأول (٢٥٧ - ٥٦٥ م) مائتى ألف من القبط حتى اضطر من نجا من القتل إلى الهرب فى الصحراء .. (٢) ؟ ! !

وفى أنطاكية حدث نفس القهر والاضطهاد لغير المسيحيين ، ولمعتنقى غير مذهب الدولة الرومانية من المسيحيين .. ! !

لقد سجل المؤرخ والفليسوف الأمريكى (ول ديورانت) عدد سنوات الحرب التى خاضتها البشرية فوق هذه الأرض فوجدها ٣٤٢١ ثلاثة آلاف وأربعمائة وواحدا وعشرين عاما ، بينما لم تزد سنوات السلام والهدنة عن ٢٦٨ مائتين وثمانية وستين عاما ... !

أرأيتم إلى أى مدى بلغت قوة الشر ؟

إنها لكارثة أن تمضى الحياة على هذا النحو .. وأسوأ من هذه الكارثة أن يتهم المسلمون بسفك الدماء والقتل .. بينما هم ضحايا هذا السفك وهذا القتل !

لقد تخيل الكاتب الروسى (ديستوفسكى) فى إحدى رواياته أن

---

(١) وهذا ما حدث الآن فى البوسنة ..

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، توماس أرنولد ص ١٧٠ .

المسيح عليه السلام عاد إلى الأرض .. فوعظ الناس ، وصنع المعجزات وأقبل عليه الضعاف والمرضى يطلبون منه الرحمة والعون .. وفجأة يظهر رئيس (ديوان التفتيش) أو - البابا - بلغة هذا العصر فيشير إلى الحراس والجند أن يقبضوا عليه ويضعوه فى السجن .. ! ! !

وفى المساء يذهب إليه المفتش الأعظم فى السجن ويقول له :

إنى أعرفك ولا أجهلك .. ولهذا سجنتك .. قل لى : لماذا جئت إلى هنا .. ؟ ! ! !

لماذا تلقى العثرات والعقبات فى طريقنا .. ؟ ! !

ثم يقول له : إنك كلفت الناس ما ليس لهم به طاقة .. كلفتهم بأشياء لم يستطيعوا القيام بها ...

ولكنا عرفناهم ، وأعفيناهم من كل ما أمرتهم به .. ثم تجىء بعد ذلك لتفسد علينا عملنا .. ! ! !

إن الحرية حمل ثقيل يصعب على الإنسان حمله .. لهذا سلبناها منه وأرحناه منها .. فلماذا تحاول أن تردها إليه .. ؟ ! ! !

لقد منحتنا السلطان قديما .. وليس لك أن تسترده ، أو تحرمنا منه اليوم .. ! ! ! فاترك لنا هذا الإنسان فنحن أعرف به منك .. ! ! !

وارجع من حيث أتيت وإلا سلطنا عليك هذا الإنسان ، وسترى أن الشعب الذى قبل قدميك يأتى إلينا غدا ليطالبنا بالتخلص منك .. ! !

ربما تقول يا سيدى الرئيس :

إن المسيح لم يحارب ، وكان يدعو تلاميذه وحوارييه إلى الصفح والعفو فى كل جانب ؟

أما أن السيد المسيح لم يحارب فهذا حق ، وأما أنه كان يدعو إلى الصفح والعفو فهذا أيضا حق ، ولكن المسيح عليه السلام لم يكن منفردا بهذه المزايا التى دعا إليها كل رسول ونبى .. لقد فعل كل الأنبياء ذلك وما من نبى ولا رسول إلا سلك مسلك العفو والتسامح .. ثم فى النهاية ... كانت المواجهة وكان الصراع بين الحق والباطل ... وإذا كان المسيح عليه السلام لم يفعل ذلك .. فإن حياته فى هذه الدنيا كانت قصيرة ... ولم يعش حتى يرى للمسيحية فى هذه الدنيا دولة وإمارة .

فالدعوة إلى التسامح كانت وليدة ظروف الضعف والقلة ، ولو عاش المسيح عليه السلام عمرا أطول ، لما ترك الباطل يمتهن أهل الحق .. وما سمح بظلم يقع على أى فرد .

يقول المؤرخون لتاريخ المسيحية (١) :

(منذ اللحظة الأولى لظفر الكنيسة بسلطة مدنية - فى عهد قسطنطين - دخل مبدأ الكبح العام ، واستمر عشرة قرون شداد ، رسف فيها العقل والقلب فى الأغلال ، وعانى من قسوته اليهود والوثنيون كثيراً) .

(وقد حاول قسطنطين أن يضع حدا لشرورهم ، فأصدر قانونا يقضى بإحراق كل يهودى يلقى على من اعتنق المسيحية حجرا ، وعقاب كل مسيحى تهود ... ! ! !

ثم عدل العقاب إلى مصادرة الأملاك ، فإن تزوج يهودى بمسيحية أعدم) قال : وقد أبان (تسطريوس) بطريق القسطنطينية عن مبدئه في الاضطهاد حين قال للإمبراطور : أعطنى الدنيا وقد تطهرت من

(١) الدكتور توفيق الطويل .

الملحدين أمنحك نعيم الجنة المقيم .. !

ثم شرعت عقوبة الإعدام للملحدين ونظم إفناؤهم .

ووضع (تيودسيوس) فى أواخر القرن الرابع قوانين صارمة تتضمن ستا وستين مادة لمقاومة الهرطقة ، وإلى جانبها بنود أخرى لاستئصال الوثنية ومناهضة الأديان اليهودية ، والارتداد عن الدين ومزاولة السحر ونحو ذلك .

وكان هذا الدستور يقضى بإقصاء الوثنيين عن وظائف الدولة ، وتحريم طقوسهم وحظر عباداتهم ، وهدم معابدهم ، وتحطيم صورهم) .

وفى أوائل القرن الخامس ظهر القديس (أوغسطس) وهو رجل عنيف المشاعر بالغ القسوة .

كانت حياته عذابا على مخالفى المسيحية ، ورافضى الدخول فيها وقد أمد حركة الاضطهاد بالوقود الذى زادها ضراما ، ورسم للأخلاق مثلا سيئة فى القتل والتوحش .

(وتمشياً مع هذا سلم (أوغسطين) بمعاقبة الملحد بالنفى والجلد وفرض الغرامات ، ووضع للكنيسة دستورا تلتزمه إزاء كل حركة الحادية ..) ومن رأى (أوغسطين) - الذى استمده من عقيدة الخلاص ، ومن نصوص العهد القديم - أن عقاب الملحدين هو من دلالات الرفق بهم وشواهد الرحمة إذا كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى الذى ينتظر المرتدين عن المسيحية ...) !

• • •

لقد (كان القصد الأعلى للمسيحية كقصد كل أيديولوجية انقلابية إنشاء عالم مسيحى جديد ليس فيه سوى المؤمنين) (١) .

كان الإيمان المسيحى (شرطا جوهريا كى يصبح الفرد عضوا فى مجتمع القرون الوسطى وكان ضروريا كى يصبح الفرد مواطنا أن يصير مسيحيا لهذا بقى الوثنى أو اليهودى أو المسلم خارج المجتمع ، أى فى انتظار القتل عندما يأتى ... وعندما يقع ! .

يقول (فولتير) مخاطبا رجال الدين من الاساقفة والقسس :

أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء الذين غرر بهم جهلة وأغبياء ، وأفهموكم أن العقيدة الإسلامية ، عقيدة لذات وسيف بينما هى فى الحقيقة والواقع أبعد من هذا الزعم وهذا الوصف .

لقد خدعتم فى هذا الفهم .. كما خدع آباؤكم من قبل ...

أيها الأساقفة والرهبان والقسس .. ! !

إذا فرض عليكم قانون يحرم عليكم تناول الطعام من الرابعة صباحا .. وحتى العاشرة مساء ... وفى شهر يوليو القائظ عندما يجىء الصيام فى هذا الشهر .

وإذا حرم عليكم لعب الميسر ، وإلا لحقت بكم لعنة الله ...

وإذا حرم عليكم شرب الخمر تحت التهديد بالجزاء نفسه ...

وإذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة ...

وإذا فرض عليكم إخراج اثنين ونصف فى المائة من أموالكم للفقراء ..

وإذا كنتم تتمتعون بثمانى عشرة زوجة فجاء من يحذف أربع عشرة

(١) نديم البيطار : الأيديولوجية الانقلابية ص ١١٠ .

زوجة من هذا العدد ...

هل يمكنكم الادعاء مخلصين بأن هذه الشريعة شريعة لذات وجنس ...

أو شريعة حرب وسيف ؟ الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون .

فإنكم كالقبور المطلية .. تبدو جميلة من الخارج ... ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة ... !

كذلك أنتم تبدون أمام الناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلؤن بالرياء والفسق ... (ياأولاد الأفاعى ... ! !) .

كيف تتكلمون بالصالحات وأنتم فجرة ... (١) ! ! ! ! !

● ● ●

ياسيادة الرئيس :

فى الأربعينات من هذا القرن ، وقبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية بعامين بالضبط .

لم نكن نعرف عن روسيا ولا الشيوعية إلا النذر اليسير من المعرفة ، لم تكن هناك علاقات دبلوماسية ، ولا تمثيل سياسى من أى نوع وكانت كلمة (الشيوعية) تذكر فى هذه الأيام موصومة بالعار والكفر والجريمة؟ كانت مصادر الأنباء وينابيعها ، وإن شئت فقل (أنابيبها) تأتى من جهة واحدة ، ومن دول وحكومات كان من أعز أمنياتها وأحلامها - أن نقضى على السوفيت وحركتهم المخربة الهدامة ؟ ولم تكد روسيا تدخل الحرب إلى جانب الحلفاء .. ويتعاقد (تشرشل) - على حد قوله - مع (الشيطان) حفاظا على الحرية والديمقراطية ، وعلى بلده التى كانت

(١) من كلام المسيح عليه السلام .

عظمى لم يكد يحدث هذا التحول والاتفاق .... حتى بدأ الحديث عن الشيوعية ينتشر ، والهمس حولها يتزايد .. وصار مألوفا عاديا أن يرى الناس فى شوارع القاهرة تلك الملصقات التى تجمع فى صورة واحدة بين تشرشل وروزفلت وستالين وكاى شيك ، وشيئاً فشيئاً بدأ الغطاء ينكشف والبخار يتصاعد ، والنشرات السرية تظهر فى هذا المصنع ، أو فى هذه (الكلية) وفى بعض المقاهى والأندية وأحياناً تظهر فى أدراج الطالبات والطلبة ... (١)

ولأول مرة فى تاريخ مصر ، ظهرت بعض الصحف والمجلات التى تتكلم صراحة عن الشيوعية ... (الجماهير) و (الملايين) و (أم درمان) .

كما ظهرت بعض المكتبات التى تبيع الكتب الشيوعية بأثمان زهيدة وكان من أشهر هذه المكتبات مكتبة فى ميدان (سليمان باشا) أسسها المليونير اليهودى هنرى كورييل ... ؟ !

لم أكن أترك كتابا أو مجلة من المجلات فى هذه الفترة ، كنت تواقا إلى المعرفة نهما لكل جديد فى الفكر والثقافة ... وبالرغم من ثقافتى الأزهرية ... وتربيتى الدينية العميقة ، فقد كنت أومن فى قرارة نفسى وباقتناع صادق من إيمانى وعقيدتى أن المسلم الحق لا ينبغى أن يغمض عينيه عما يدور حوله ... وأن الواجب الدينى يفرض على أن أعرف

وأتعلم وأبحث وأناقش . وأن على العالم المسلم أن يكون أشبه بجهاز (الرادار) الذى يرصد كل حركة فى الأفق ليتبين مواقع الخطر ويحدد

(١) أنظر فى هذا (حتى لاتخدع) فصل الصنم الذى هوى - دار الشروق .

أماكن الهجوم والدفاع ، أو يكون كالطبيب يدرس كل الأمراض والعلل، ويعرف حركة الميكروب والجراثيم وإلا كان هو نفسه أول الضحايا .

• • •

لهـذا كله لم أكن أضـيق بالرأى المعـارض .. ولم أكن أقف مـوقف الكثـيرين من مخـالفيـهم فى الرأى ، وقد أكسبنى هذا الموقف صداقة بعض الشيوعيين فى هذه المرحلة .. كان هناك مقهى فى حى خان الخليلى يسـمى (زهرة إيران) كـان صـاحب هذا المقـهى من الإيرانيين الذين استوطنوا مصر ، وكنا نلتقى فيـه بعد انتهاء الدراسة فى الأزهر أو فى أيام الاضرابات التى كانت كثيرة فى هذا العهد ... كـان الشيـوعيـون يعرضون على قراءة صحفهم ... فيفاجأون بأنى قد قرأتها قبلهم ! ... ويوما بعد يوم أنسوا بى ، واطمأنوا إلى فعرض على أحدهم واسمه .... (م . ع . ف) وقد أصبح فيما بعد من زعماء الحركة الشيوعية - أن نلتقى مساء فى المقهى ، فوافقته على اللقاء فى الموعد الذى حدده ، ثم أخذنى بعد ذلك إلي حى (عـابدين) وسرنا معـا من حـارة إلى حارة ، ومن زقاق إلى زقاق وانتهى بنا المطاف إلى مقهى حقير متواضع يجلس فيـه بعض الإخوة النوبيين ... وبعـد تناول الشاى الثقـيل المر ... أخرج من جيبه وريقات ثم بدأ يقرأ منها على ..

- ماهذا ؟

- قلت للرفيق (م . ع . ف) متسائلاً ... إنها المادية الجدلية ... أو المنطق التـاريخى للنظرية الشيـوعيـة ، أو (المتن) الحقيقى لكتاب (رأس المال) كما نقول نحن فى دراستنا الأزهرية .. وتركته يقرأ ..

ويشرح .. ويفسر .. ولم أقاطعه ولم أظهر استيائى منه ..

لقد انخدع (الرفيق) بسماحتى الفكرية ... وتوهم المسكين أننى (جاهز) للتحول إلى الماركسية اللينينية - إننى أقرأ الصحف والمجلات الشيوعية وأخطب فى الطلاب وأقودهم فى المظاهرات الوطنية .

فكيف لا أكون رغم ذلك عضوا فى الحركة الجدبدة ... ؟

ولماذا لا أتحول بقدرة (ماركس ولينين) إلى الطبقة البروليتارية المجيدة ؟ ! ! !

وتكررت اللقاءات والقراءات .. وفى الجلسة الأخيرة مع آخر صفحة من الكتاب شكرت الرفيق على هذه الفرصة التى أتاحها لى لدراسة الماركسية والمادية الجدلية ، وتزويدى بتلك المعلومات الحافلة بالألغاز واللوغاريتمات والافتراضات الوهمية والخيالية ... !

ونزل كلامى عليه كالصاعقة ، كيف خدع هذا الوقت كله ؟ وكيف غرر به طوال أسبوع كامل يدفع فيه ثمن تذكرة الترام وثمن أقداح الشاى ، وأحيانا ثمن العشاء الذى كنا نتناوله فى أوكار الظلام ... ؟ ! ! !

لم يكن يذكر الشيوعيون - فى هذه المرحلة - شيئاً عن العلاقة بين الشيوعية والدين .. أو كان هذا على الأقل ما يكون مع الذين لم يصبحوا بعد أعضاء ملتزمين فى الفكر والتنظيم ...

وجاء عام ١٩٤٧ الذى وافقت فيه هيئة الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين ، لقد أحدث القرار موجة سخط شديدة بين العرب والمسلمين ... وكان الرأى العام فى مصر يغلى غضبا من هذا الموقف المشين ، كان العالم الإسلامى كله يدين القرار .. ويفضح المؤامرة ، ويحاول منع وقوع

الجريمة ...

وفى ميدان الأزهر ... وأنا فى طريقى إلى شارع الغورية متجها إلى حى الحلمية الجديدة التقى بى فجأة (ع.ع) وهو رفيق شيوعى ثم أخذ يناقشنى الرأى فى موضوع التقسيم ، ويقرر أن هذا هو الحل الوحيد السليم وأن صيحة الجهاد والفداء كلمات بالية من صنع الرجعية والبورجوازيين ...

إذن فهذا هو الموقف الشيوعى من قضايا الوطن ومن المقدسات ومن فلسطين .. الجهاد .. خرافة ، والفداء (غباء ورجعية) وإعطاء فلسطين للغزاة الهمج هو الحل الوحيد للقضية ...

• • •

لم أستمر فى المناقشة .. لقد كانت صدمة عنيفة لمشاعرى الإسلامية والوطنية . ومضيت فى طريقى وأنا أفكر فى هذه الخيانة وكيف يجرؤ عربى أو مسلم على إعلانها كهذا ببساطة ... ؟ !

• • •

وفى عام ١٩٦٥ م .. وفى شهر أغسطس من هذا العام بالذات ، نشرت فى مجلة (نور الإسلام) التى كنت أشرف عليها آنذاك نشرت(فتوى) تحرم (الزواج بين الشيوعى وأية فتاة مسلمة أو بين المسلم وأية فتاة شيوعية .. !!) .

كانت إحدى المذيعات - فى البرامج الموجهة من القاهرة - سألتنى هذا السؤال بعد أن تقدم لخطبتها شاب تعرف أنه شيوعى ونشرت هذه الفتوى للرد على هذه الأخت السائلة ، وكان من الممكن أن تنسى هذه الفتوى

كفيرها من فتاوى كثيرة فى أضابير المجلة ، أو فى عقول قرائها الطيبين الذين يعيش معظمهم فى (الكفر) أو (العزبة) أو (القرية) .. ! ! !
ولكن الله - جلت حكمته - أراد لهذه (الفتوى) ذيوعا لم يكن متوقعاً ، وانتشاراً وضجيجاً بلغ أركان الدنيا ..

لقد زارنى فى مكتبى مصادفة الأستاذ محمود الكولى محرر الشئون الدينية فى صحيفة الأهرام ، وما كادت عيناه تقع على صورة الفتوى وهى لا تزال (بروفة) قبل الطبع ، حتى هجم عليها وطلب صورة منها ، ثم طار بها إلى صحيفة الأهرام التى نشرتها فى اليوم التالى وفى صدر صفحتها الأولى .. ! !

وفى الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم الذى نشرت فيه الصحيفة هذه الفتوى .. كنت استمع إلى النشرة المسائية فى محطة الإذاعة البريطانية فإذا بخبر هذه الفتوى يتصدر هذه النشرة بل كان الخبر الأول فيها .. ! !
لم أنم تلك الليلة .. !

وكيف أنام بعد أن تطايرت شظايا هذه القنبلة فى كل قطر وعاصمة .. وقد قامت الدنيا فى القاهرة المحروسة وانطلق زبانية الشيوعية يندون بالأزهر وشيخه فى ذلك الوقت - المرحوم الشيخ حسن مأمون - وبالرجعية التى تقف فى وجه التحول الاشتراكى مع ماركس وإنجلز ولينين .. ! ! !

كان الرئيس عبدالناصر على موعد للقيام بزيارة إلى موسكو بعد أسبوع وهذا الذى نشر يمكن أن يفسد هذه الزيارة أو على الأقل يبطل مفعولها وأثرها فى الاستجابة لمطالب مصر من الاتحاد السوفييتى الذى

كان يمثل فى هذا الوقت (كل شىء) بالنسبة للقادة أو الساسة ؟ !

وأقر وأشهد أن نشر هذه الفتوى وبهذه الصورة ، وفى جريدة الأهرام التى كان يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل وفى الصفحة الأولى ، وفى العمود الأول منها ..

أشهد .. بأن (عبدالناصر) لم يكن شيوعيا .. ! !

وإلا .. لو كان هو كذلك .. لدفنت قبل أن يطلع الفجر !

هذا إن لم يختف البيت والشارع الذى كنت أسكن فيه من على ظهر الأرض .. (١) ! ! !

• • •

ياسيادة الرئيس :

لقد هتف الشيوعيون بسقوطى فى داخل السجن ففى إحدى المحاضرات التى دعيت لإلقائها فى هذا السجن قلت ...

إن المسيحى أو اليهودى أقرب إلىّ من الشيوعى المسلم فإذا بالهتافات تنطلق من داخل (عنبر) الشيوعيين بسقوط عبدالودود جونسون ! ! !

كنا ننظر إلى الولايات المتحدة فى هذا الوقت على أنها ملاذ الحرية والعدل كما كنا نحلم بيوم - تعود فيه العلاقات بين القاهرة وواشنطن أحسن مما كانت عليه من قبل ولكن .. ما أكثر الأمنيات التى لم تتحقق وما أكثر الأحلام التى تتبدد مع طلوع الفجر . !

وكما يقول المؤلفان (آلن نيفنز) و (هنرى ستيل) فى كتاب (موجز تاريخ الولايات المتحدة) : الواقع أن الخير الذى كان مرتقبا من الحياة

---

(١) أنظر فى هذا رسالتنا عن (صوت الإسلام يرتفع فى موسكو) - دار المختار الإسلامى .

الأمريكية لم يكن يلقى تحقيقا (١) .

كان المرجو فى هذه الدنيا الجديدة إقامة مجتمع تكون فيه الحرية والمساواة مكفولتين للجميع ، مجتمع تحظى فيه الحرية بالحماية ، ومن المؤكد أن هذا كان حلما ، ولكنه لم يكن حلما وهميا ، ولا كان مبتدعو تطلعات الجمهورية الأمريكية ممن يلوذون بأفيون الآمال الكاذبة ، فإن الطبيعة لم تكن قد أتاحته للبشر يوما من قبل مثل هذه الفرصة السخية ولا كان ثمة - فى يوم من الأيام للاعتقاد بأن بوسع البشر أن ينشئوا لأنفسهم جنة على الأرض ، كالداعى الذى ترتب على ذلك ، فكان الشعب الأمريكى فى البداية (أمل الجنس البشرى) كما قال (تيرجو) حقاً .

هذا الأمل لم يتحقق ، كان الأمريكيون أحسن حالا من معاصريهم فى الخارج ، ولكنهم كانوا أسوأ مما كان ينبغى لهم ، كانت المنجزات المادية للأمة هائلة ، ولكن المنجزات الثقافية والاجتماعية كانت مخيبة للرجاء ، وفى هذا قال الرئيس ويلسون فى الخطاب الافتتاحى لفترة رئاسته الأولى : (لقد جاء الخبيث مع الطيب ، وكم من ذهب بديع المنظر صدأ ، فمع الثراء أقبل تبذير لا مبرر له ، وبددنا شطرا كبيرا مما كنا خليقين بأن نفيد منه ، ولم نكف لكى نصون سخاء الطبيعة الفياض .. مستهجنين أن نكون حريصين ، فنحن مسرفون بدرجة تدعو للخجل ، بقدر ما نحن أكفاء بدرجة تدعو للإعجاب ، إننا نفخر بمنجزاتنا الصناعية ، ولكنا حتى الآن لم نتوقف متدبرين بدرجة كافية لنحسب التكلفة البشرية ، تكلفة النفوس التى ضحت دون تقدير ، والطاقات

---

(١) موجز تاريخ الولايات المتحدة - عصر الإصلاح - تأليف آلن نيفنز - هنرى ستيل .

التى حملت فوق وسعها فتحطمت ، والتكلفة البدنية والروحية من الرجال والنساء والأطفال الذين وقع عليهم دون ما إشفاق ما لكل هذا من ثقل مميت وعبء ، على طول السنين ... ومع الحكومة العظيمة ولت أمور كثيرة خفية كل الخفاء ، تقاعسنا أطول مما ينبغى عن تأملها بعيون سريعة الاستيعاب ، مبرأة من الخوف ، وما أكثر ما تعرضت الحكومة العظيمة التى أحببناها للاستغلال ، لأغراض خاصة وأنانية ، وقد تناسى الذين استغلوها الشعب) ! ! ! .

• • •

وقد صور الكاتب الإنجليزى (جورج أورويل) واقع هذه الحياة والحضارة فى روايته التى أطلق عليها اسم (عام ١٩٨٤) والتى صادفت رواجا عالميا بسبب ما جاء فيها من حقائق مرعبة عن الواقع الأوروبى فى هذه المرحلة .....

لقد مر أورويل فى حياته بتجربتين تنقل فيهما من الرأسمالية إلى الشيوعية ... ولكنه اكتشف في تجربته الثانية أن الشيوعية ألعن كثيرا من الرأسمالية ، لأنه إذا كانت الرأسمالية لا تخفى مساوئها فإن الشيوعية ترتكب أفظع الجرائم ضد الإنسان وحريته ولكن فى الوقت الذى ترفع فيه لافتات بالعدالة والديمقراطية والمساواة . ! ! !

ولقد عكس أورويل أفكاره فى النطاقين الرأسمالى والشيوعى فى رواية أطلق عليها اسم (مزرعة الحيوانات) وهى مزرعة يمثل فيها (مستر جونز) الرأسمالية المستغلة فالخنازير فى المزرعة ومعها باقى الماشية والطيور هى التى تعمل وتحرث الأرض وتنتج اللبن والبيض وفى النهاية

يقوم مستر جونز بذبحها وأكلها ... ويقرر أحد الخنازير أن يقضى على هذا الظلم الذى يتعرض له هو وإخوته الحيوانات وإدارة المزرعة جماعيا ونشر العدل والمساواة ... وبالفعل تنجح الحيوانات فى القيام بثورة تستولى فيها على المزرعة وطرد الرأسمالى المستغل ... ولكن الخنزير الذى قاد الانقلاب بدلا من أن ينشر العدل والمساواة بين جميع الحيوانات يحتكر هو وزملاؤه الخنازير السلطة أولا ... ثم الامتيازات ثانياً . !

ثم يصبح الخنزير القائد هو المفكر والوصى على فكر جميع الحيوانات !

وهكذا أصبحت الخنازير فى النهاية هى (مستر جونز) . ! ولكن بصورة أسوأ لأنها تمارس استبدادها فى الوقت الذى تتحدث فيه عن الحرية والديمقراطية وسيادة القانون والمساواة . بينما هى أى الخنازير أصبحت فوق القانون والمساواة والعدالة .. !

● ● ●

إن ما قاله (جورج أورويل) فى (مزرعة الحيوانات) قاله وأكده الشاعر والفيلسوف المسلم (محمد إقبال) فى قصيدة له اسمها (برلمان إبليس) !!!

تقول هذه القصيدة التى كتبها (إقبال) :

إن إبليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس شورى ، وتباحثوا فى شؤون العالم ، وأخطار الغد ، وما يتهدد مملكة الفساد والشر فقال أحد الشياطين :

إن الخطر على هذه المملكة الشيطانية من الحكم الجمهورى ..

فقال شيطان آخر : لا يهولنك أمرها ، إنها ليست إلا غطاء للملوكية

ونحن الذين كسونا الملوكية هذا الغطاء إذ رأينا الإنسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا فألهيناه بلعبة الجمهورية ، أما رأيت نظام الغرب الجمهوری له وجه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان . ! !

فقال شيطان آخر : لا . لا . إن الخطر يتهدد مملكتنا من الشيوعية هل عندكم نبأ هذه الفتنة التى أثارها ضدنا اليهودى كارل ماركس ؟ لقد أثار العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الإمارة والسيادة ...

فقال إبليس معترضا على أعوانه مهدئاً :

إنى أملك زمام العالم وأتصرف فيه كيف أشاء ...

إنى لا أخاف هؤلاء ولا هؤلاء إنى أخاف فقط من أمة لا تزال شرارة الحياة فيها كامنة ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سَحَراً .

إن الإسلام هو فتنة الغد ، وداهية المستقبل ، ليست الشيوعية ولا الجمهورية .

وأنا أعلم أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا .

وأنها شغفت بالمال وفتنت بجمعه .

أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر وأن علماء الإسلام وشيوخه لم تعد لهم تلك اليد البيضاء التى تشرق بها الظلماء ، وتضىء بها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع الدهر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس .

اضربوا على أذان المسلم فإنه يستطيع أن يبطل سحرنا بأذانه وتكبيره.

ياويلتنا وشقوتنا إذا انتبهت هذه الأمة ودبت فيها الحياة ... (١) !!!

وقد انتبهت الأمة الإسلامية ياسيادة الرئيس ...

انتبهت بالرغم من الخلافات والفتن التى تبدد طاقتها وتقيد حركتها وانطلاقها .

إن نار الثورة ضد الغرب كامنة تحت الرماد ، وإذا لم يغير الغرب من سياساته ضد المسلمين فلسوف يأتى ذلك اليوم الذى تتحطم فيه كل الأصنام والأصفاد !

إن (الصراع بين الحضارات) الذى يروج له (صمويل هنجتون) ، أو (نهاية التاريخ) كما يزعم (فرانسيس فوكويا) اليابانى الأصل . !

إن مثل هذه الأقوال أو الأساطير لا تبشر بقيام علاقات حقيقة بين شعوب العالم ، كما تنذر بشر مستطير يجتاح جميع الشعوب والأمم .

• • •

إن السقوط المدوى الهائل للاتحاد السوفيتى إنذار بقرب نهاية هذه الحضارة التى لم يعد - لبقائها أو استمرارها سبب واحد ... !

والتكنولوجيا التى تباهى بها هذه الحضارة ستنقلب عليها حتما وقريبا كما ينقلب السحر على الساحر . !

وكما يقول (ويل ديورانت) :لقد تضمن تقدمنا فى العلم والتقنية مسحة من الشر مع الخير (٢) ، ولعل ألوان الراحة والفائدة التى عادت علينا أوهنت قدرتنا البدنية على الاحتمال وأضعفت طبعنا الأخلاقى .

(١) روائع إقبال : ترجمة العلامة أبو الحسن الندوى .

(٢) دروس من التاريخ ، ويل ديورانت - الطبعة العربية د / على شلش ص ١٨٢ وما بعدها .

فنحن طورنا وسائل انتقالنا تطويرا هائلا ، ولكن بعضنا يستخدمها في تسهيل الجرائم وقتل إخواننا أو قتلنا . !

وضاعفنا سرعتنا مثنى وثلاث ومائة مرة ولكننا نحطم أعصابنا أثناء ذلك ، وكأننا قردة ترتدي السراويل سواء تحركنا بسرعة ألفي ميل في الساعة أو استخدمنا سيقاننا في الحركة . ! ونحن نصفق لأدوية الطب الحديث وجراحاته إذا لم تؤد إلى آثار جانبيه أسوأ من المرض ، ونعجب باجتهاد أطبائنا في سباقهم المجنون مع مرونة الميكروبات وقدرة المرضى على الابتكار ، ونشكر لعلم الطب تلك السنين الإضافية التي يمنحنا إياها إذا لم تكن إطالة مرهقة للمرض والعجز والغم . !

وقد ضاعفنا مائة مرة قدرتنا على العلم بحوادث اليوم والكوكب ونقلها إلى الغير ، ولكننا أحيانا نحسد أجدادنا الذين لم يكن يعكر سلامهم تعكيرا خفيفا سوى أخبار قريتهم . ؟ !

وقمنا مشكورين بتحسين ظروف الحياة للعمال المهرة والطبقة الوسطى ولكن مدننا تتقيح بالأحياء المظلمة التي تتكدس فيها الأقليات والأحياء الفقيرة الموحلة القذرة . !

إننا نطرب لتحررنا من اللاهوت ، ولكن هل أنشأنا أخلاقا طبيعية - قانونا أخلاقيا منفصلا عن الدين - تكون من القوة بحيث تصون غرائزنا في التملك والمشاكسة والجنس عن الانحطاط بحضارتنا إلى مستنقع من الطمع والجريمة والزنا ؟

هل نحن كبرنا حقا بحيث استغنينا عن التعصب ، أم أننا لم نزد على تحويله من الأعمال العدائية الدينية إلى نظائرها الوطنية أو الأيديولوجية

أو العرقية ؟

هل تحسنت عاداتنا وتقاليدنا ، أم ساءت ، عن ذى قبل ؟

لقد قال أحد الرحالة فى القرن ١٩ إن (العادات والتقاليد تزداد سوءا بصورة منتظمة كلما اتجهت من الشرق إلى الغرب ، فهى سيئة فى آسيا وغير حسنة جدا فى أوروبا ، وسيئة تماما فى الولايات الغربية بأميركا .

وها هو الشرق اليوم يقلد الغرب ، فهل أتاحت قوانيننا للمجرم حماية أكثر من اللازم ضد المجتمع والدولة ؟

هل منحنا أنفسنا حرية أكبر مما يستطيع ذكاؤنا هضمه ؟

أم نحن ندنو من فوضى أخلاقية واجتماعية كبيرة تجعل الآباء المفزوعين يهرعون مرة أخرى نحو الكنيسة الأم ، ويرجونها أن تهذب أولادهم ، مهما كان الثمن الذى تتحمله الحرية العقلية ؟

هل كان كل التقدم الذى أحرزته الفلسفة منذ ديكارت خطأ من خلال عجزها عن الاعتراف بدور الأسطورة فى تعزية الإنسان والسيطرة عليه ؟

(لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذى يزيد علما يزيد حزنا) ؟ !

إن المدنية التى تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، ويقتل فيها الحنان .. والحب .

إن شعار الحضارة المادية هو الغارة على الإنسانية ..

إن شعار هذه الحضارة هو الفتك ببنى آدم الذى تقوم عليه تجارتها ...

إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، وجدرانها من زجاج لا تحتمل صدمة إن الفكر المارد الذى أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بمجموعه يهدد وكر الغربيين ومهدهم ..

إن العصر يتمحص عن عالم جديد ، وإن العالم القديم الذى حوله الغربيون مكانا للقمار (يقامر فيه بأمن العالم وكرامة الأمم) يلفظ أنفاسه (١) .. !!

ترى ياسيادة الرئيس :

هل تصلك هذه الرسالة ؟ أو تجد من ينقلها إليك بأمانة ؟

أو حتى يلفت نظرك إليها ... بإشارة أو كلمة ؟

يأيتها العزيزة الغالية جدا (السى - آى - ايه) C.I.A

اعملى خيرا فى حياتك ... ولو مرة واحدة .. ؟؟!

د . عبدالودود شلبى

---

(١) العلامة محمد إقبال ... أرمغان حجاز - لاهور .

رقم الإيداع ٩٨ / ١٤٠٤٩
977 - 220 - 157 - 7

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي — ١١٢٣١